

العقرب 1

سيف العدالة



د. نبيل فاروق

عندما يعجز القانون البشري عن القصاص..

عندما تحيطُ العدالة عينيها بعصابةٍ سميكةٍ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..

عندئذ ينهض هو للقتال، حاملًا ذلك الاسم

الذي يثيرُ الرجفةَ في قلوب أعتى المجرمين..

اسم (العقرب)

-١-

المجرم..

«خطأ أيُّها الرائد.. خطأ..»

صاح وزير الداخلية المصري بهذه العبارة، وهو يضرب سطح مكتبه في قوة وغضب، موجهًا حديثه إلى شاب طويل القامة، نحيل، وسيط الطلعة، قصير الشعر، يقف أمامه هادئًا، حازم القسمات، صارم الملامح، تُطلُّ من عينيه العسليتين نظرة صلبة، تشف عن قوة شكيمته، وشدة عناده وإصراره، وهو يستمع إلى وزير الداخلية، الذي استطرد ثائرًا:

- إنَّك ترتكب الأخطاء القانونية في سرعةٍ تجعلك تفوق المجرمين أنفسهم.

قال الشاب في برود حازم:

- القانون يقف حائلًا بيني وبين العدالة يا سيدي.

صاح وزير الداخلية:

- خطأ أيُّها الرائد.. من الضروري أن تنتزع تلك الفكرة الحمقاء من رأسك، وتلقي بها جانبًا، فالقانون هو العدالة، والعدالة هي القانون.

قال الشاب في حِدَّةٍ واضحة:

- كيف يا سيدي؟ إنَّنا نقضي عدة أشهر في جمع التحريات عن جريمة ما، وبعد أن يعمل رجالنا ليل نهار، يتضح لنا أن شخصًا ما خلف كل هذه الجرائم، وعلى الرغم من ذلك، فنحن نعجز عن الإيقاع به، وإلقاء القبض عليه، لأنَّنا لم نضبطه متلبسًا، أو لأنَّه يحوز حصانة قانونية، أو حتى لأنَّه شديد الحرص والحذر، وعلى الرغم من ثقتنا في أنَّه قاتل أو تاجر سموم، فإنَّنا نترك له مطلق الحرية، ونكتفي بمراقبته، ونحن ندعو الله (سبحانه وتعالى) أن يوقعه في أيدينا.. أية عدالة هذه؟

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يقول في شدة:

- العدالة التي كفلها القانون أيُّها الرائد.

ثم لوَّح بكفه في حنق، وراح يقلب عدة أوراق، في ملف ضخم أمامه، وهو يستطرد محنقًا:

- ماذا أفعل بك؟ إن ملفك يؤكد تفوقك في كلية الشرطة، ونجاحك بدرجة جيد جدًّا، وتقاريرك كلها تشير إلى ذكائك ومهارتك، إلا أنَّ أيًّا منها لم يمنحك تقديرًا ممتازًا لسبب واحد.

عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته، مستطردًا:

- إنَّك لا تحترم الإجراءات القانونية..

غمغم الشاب في برود:

- ولكنني أحترم الحق والعدالة.

بدا الغضب على وجه وزير الداخلية، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- يا للفلسفة السفسطائية!!

ثم أشار إلى صدر الشاب، الذي يرتدي حلة مدنية، وهتف:

- اسمع أيُّها الرائد.. إنَّك تتمادى كثيرًا، وتتجاوز حدودك على نحو بالغ الخطورة.. أتعلم ما الذي فعلتَه الليلة؟.. لقد هاجمتَ عضوًا بارزًا بمجلس الشعب، وهدَّدته بالقتل أمام شهود، و...

قاطعه الشاب في صرامة:

- إنَّه واحد من أكبر تجار المخدرات في (مصر)، ولقد تسبَّبَت سمومه في قتل طفل في العاشرة.

صرخ وزير الداخلية:

- لا شأن لك في هذا.

وعاد يلوح في وجه الشاب بسبابته في حنق، مستطردًا:

- اسمع أيُّها الرائد.. هذا آخر إنذار لك.. ستتبع القوانين واللوائح بمنتهى الدقة، تمامًا كأي موظف حكومي محترم، وإلا فسأعمل على فصلك من سلك الشرطة كله.. هل تفهمني؟

ران الصمت لحظة، أطلّت خلالها صرامة الدنيا كلها من عين الشاب، قبل أن يقول في برود:

- أفهمك يا سيدي.

اعتدل وزير الداخلية، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- حسنًا.. انصرف.

أدّى الشاب التحية العسكرية في هدوء شديد، ثم دار على عقبيه، وغادر مكتب وزير الداخلية في خطوات سريعة، ولم يكد يغلق بابها خلفه، حتى سمع صوتًا أنثويًّا يقول في سخرية:

- كيف حال البطل الهمام؟.. هل كان العرض المسرحي جيدًا؟

التفت إلى مصدر الصوت في هدوء، وتطلّع لحظة إلى صاحبته، ذات القوام المتناسق، والوجه الجميل، التي ترتدي زيًّا رسميًّا، يحمل رتبة رائد، وقد انسدل شعرها الأسود من أسفل القبعة الرسمية لرجال الشرطة، وبدت عيناها

الخضراوان تحملان طنًّا من السخرية، وقال في جدية:

- ألا تكفِّين عن هذا العبث أبدًا، أيتها الرائد (غادة)؟

أجابته في سخرية، وهي تعقد حاجبيها على نحو مشابهٍ له:

- وأنت، ألا تبتسم أبدًا أيُّها الرائد (نديم)؟

أتاها صوت ضاحك من خلفها، يقول:

- لقد ألقيت هذا السؤال على أمه، فأكَّدت لي أنَّه قد ابتسم ذات مرة.

التفت الاثنان إلى صاحب الصوت، الذي لم يكن سوى اللواء (حلمي)، مدير المباحث الجنائية، التي ينتمي إليها الاثنان، وهو يستطرد في لهجة أبوية:

- وكان ذلك وهو بعد في الثانية من عمره.

اعتدلت الرائد (غادة)، وأدَّت التحية العسكرية في احترام،

وإن لم تستطع منع نفسها من الابتسام، وهي تقول:

- أظنه خداع بصري أصاب عين الأم يا سيدي.

اعتدل (نديم) بدوره، وأدَّى التحية العسكرية لرئيسه، وهو يقول في صرامة:

- لست أستسيغ هذا اللون من الدعابات أيتها الرائد.

أجابته (غادة) في سرعة وسخرية:

- كما تأمر يا سيادة الرائد العبوس.

ابتسم اللواء (حلمي)، وهو يسأل (نديم):

- قل لي يا ولدي: ماذا فعلت مع سيادة الوزير؟

هزَّ (نديم) كتفيه، وهو يقول في هدوء:

- نفس الحوار المتكرر يا سيدي.. لقد صرخ في وجهي، واتهمني بمخالفة القانون، ثم هددني بالفصل.

تنهَّد اللواء (حلمي)، وهزَّ كتفيه في أسف، وهو يقول:

- أظنه سينفذ تهديده يومًا يا ولدي، فعلى الرغم من إخلاصك الشديد لعملك، وكراهيتك للجريمة بكل صورها، فإنَّ حماسك يدفعك دومًا إلى خرق اللوائح والقوانين، وهذا لا يتناسب مع عمل الشرطة.

سأله (نديم) في حزم:

- كيف يا سيدي؟.. أليس عملنا هو أن نقيم العدالة؟

أجابه اللواء (حلمي):

- بالقانون يا ولدي.. بالقانون..

ابتسمت (غادة) في سخرية، وهو تقول:

- اطمئن يا سيدي.. إنَّه لن يتغير أبدًا، ثم إنَّه لا يخشى الفصل، فوالده مليونير كما تعلم.

التفت إليها (نديم)، قائلًا في صرامة:

- لا شأن لهذا بعملي أيتها الرائد.

رفعت كفَّها بمحاذاة وجهها، وفردت راحتها، قائلة بنفس السخرية:

- سمعًا وطاعة يا مولاي.

بدا أنَّه لم يتقبل دعابتها، وهو يشيح بوجهه عنها مغمغمًا:

- يا لك من عابثة!

انعقد حاجباه فجأة في شدة، وهو يتطلَّع إلى رجل ضخم الجثة، أشيب الفودين، يرتدي حلة تشف عن الثراء وفساد الذوق في الوقت ذاته، غادر مكتب الوزير على التو، واتجه نحوه..

والتقت عيناه بعيني الرجل في صرامة، قبل أن يقول الرجل في غضبٍ واضحٍ، وشماتة لا تقبل الشك:

- إذن فأنت الرائد (نديم فوزي)، الذي يتجاوز حدوده دومًا.

أجابه (نديم) في صرامة:

- نعم.. وأنت الرجل الخطير (نعمان والي)، الذي يتستَّر خلف عضوية مجلسٍ شريفٍ، ليرتكب أعمالًا أبعد ما تكون عن الشرف.

احتقن وجه (نعمان) في غضب، وهتف:

- إنَّك تتجاوز حدودك حقًّا يا رجل الشرطة.

أجابه (نديم) في برود:

- وأنت تحتاج إلى من يجْدَع أنفك يا تاجر المخدرات.

ازداد احتقان وجه (نعمان)، وتألَّقت عينا (غادة)، وهي تتابع الموقف في حماسٍ شديدٍ، في حين هتف اللواء (حلمي) في توتر:

- (نديم).. أنت تتجاوز حدودك حقًّا.

بدا وكأنَّ (نعمان) قد انتبه على التو إلى وجود اللواء

(حلمي)، وأنَّ هذا قد زوده بقوة إضافية، جعلته ينقض على (نديم)، ويجذبه من سترته في قوة، هاتفًا:

- أسمعت أيُّها الشرطي.. إنَّك تتجاوز حدودك، و...

وفجأة، وقبل أن يتم (نعمان) عبارته، ارتفعت قبضة (نديم) في سرعة، وهوت على فكِّ الرجل كالقنبلة..

وتراجع جسد (نعمان) في عنف، وارتطم بالحائط المقابل للممر في قوة، ثم سقط أرضًا، واندفعت الدماء من واحدة من أسنانه خارج فمه، في حين اتسعت عينا اللواء (حلمي) في ذهول واستنكار، وازداد تألق عيني (غادة)، وبقي (نديم) هادئًا باردًا، وكأنَّما لم يفعل شيئًا..

واندفع حارس مكتب وزير الداخلية نحو (نديم)، وراح (نعمان) يحدِّق في وجهه في ذهول، قبل أن يصرخ:

- كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟

وهبَّ واقفًا، واندفع عائدًا إلى مكتب وزير الداخلية، وهو يحاول منع الدماء النازفة من فمه، على حين هتف اللواء

(حلمي) في ذهول واستنكار:

- ماذا فعلت يا (نديم)؟

أجابه (نديم) في حزم:

- لقد كان يستحق هذا.

غمغمت (غادة)، وهي تبتسم في جذل:

- صدقت.

التفت إليها اللواء (حلمي) في دهشة، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه، قائلًا في صرامة محنقة:

- حسنًا.. سبق السيف العزل.. هيا.. غادر هذا المكان، وعُد إلى منزلك، وسأرى أنا ما سيفعله السيد الوزير بشأنك.

قال (نديم) في هدوء:

- اسمح لي يا سيدي.. قد..

قاطعه اللواء (حلمي) هاتفًا:

- قلتُ لك عُد إلى منزلك.

ثم التفت إلى (غادة)، مستطردًا في حِدَّةٍ:

- دعيه يذهب من هنا.

غمغمت (غادة) في سخرية، وهي تتجه إلى حيث يقف (نديم):

- هل ألقي القبض عليه؟

صاح بها اللواء (حلمي) في حِدَّةٍ:

- كفى عبثًا.. هيا.. اذهبا.

أمسكت بيد (نديم)، وقالت في لهجة تهكمية:

- أتتبعني في هدوء، أم أحيط معصميك بالأغلال؟

تطلَّع إليها (نديم) بنظرة باردة، ثم تبعها في هدوء إلى الخارج، وأطلق اللواء (حلمي) من أعماق صدره زفرة قوية، قبل أن يغمغم:

- فليرحمنا الله.

غمغم أحد حارسي الوزير:

- كان ينبغي أن تستبقه يا سيدي.

التفت إليه اللواء (حلمي)، قائلًا في صرامة:

- لا شأن لك بهذا.

ثم عاد يزفر في قوة، مستطردًا:

- لم يعد لأينا شأن بهذا..

***

أوقفت (غادة) سيارة (نديم) أمام البناية التي يقيم فيها

هذا الأخير، والتفتت إليه قائلة في سخرية:

- آخر محطة أيُّها الراكب الوحيد.

أجابها في صرامة:

- أأغادر السيارة، أم أنَّ أوامرك لا تقتضي ذلك؟

هزَّت كتفيها، قائلة في استهتار:

- هذا أمر يتعلق بك وحدك.

قال في حِدَّةٍ:

- حقًّا؟!.. ظننت أنني لم أعد أملك من أمري شيئًا، فأنت صحبتني إلى خارج مبنى الوزارة، وأنت قدت سيارتي.

ابتسمت وهي تهزُّ كتفيها، قائلة:

- لقد أمرني اللواء (حلمي) باصطحابك إلى خارج الوزارة، ثم إنَّك تملك سيارة رائعة تمنيت دومًا قيادتها، ولا علاقة لهذا

بالقوانين.

غادر السيارة وهو يقول:

- حسنًا.. إلى اللقاء.

سألته مبتسمة:

- ألن تدعوني لتناول قدح من الشاي؟

توقف لحظة، ثم قال دون أن يلتفت إليها:

- إنني أقيم وحدي.

هتفت ضاحكة:

- يا لها من مصادفة!.. أنا أيضًا أقيم وحدي.

صمت لحظة، ثم قال:

- حسنًا.. قدح واحد من الشاي.

هتفت في جذل:

- أوافق.

صعد الاثنان إلى شقته، وما أن دخلتها (غادة)، حتى ألقت جسدها فوق أول مقعد وثير، وهي تهتف:

- يا إلهي!! أروع ما في الدنيا هو الراحة.

سألها في هدوء، وهو يجلس على المقعد المقابل لها:

- ألم يحذرك أفراد أسرتك أبدًا، من الذهاب مع شاب عَزَبٍ إلى شقته؟

أومأت برأسها إيجابًا، وهي تقول:

- لقد فعلوا، ولكنني أثق فيك.

ثم اعتدلت مستطردة في جدية:

- ثم إنَّني أريد التحدث معك.

سألها في هدوء:

- عن ماذا؟

صمتت لحظة، قبل أن تسأله في اهتمام:

- لماذا فعلت هذا؟

سألها في بساطة:

- ماذا فعلتُ؟

قالت في مزيد من الاهتمام:

- لماذا لكمتَ (نعمان)؟

تطلَّع إليها لحظة في صمت، قبل أن يقول في حزم:

- إنَّني أكره المجرمين.

لم تنبس ببنت شفة، وهي تتطلّع إليه، فأضاف:

- سترين أنّني مخطئ.. أليس كذلك؟

ظلّت تتطلّع إليه في صمت، ثم ابتسمت هاتفة:

- بل أنت رائع.

ثم اعتدلت مستطردة في جدية:

- أنا أيضًا أكره المجرمين.

وانعقد حاجباها في بغض، وهي تتابع:

- لقد قتلوا أمي.

رفع حاجبيه في دهشة، وهمّ بقول شيءٍ ما، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور له، فالتقط سماعته بحركة آلية، ووضعها على أذنه، قائلًا:

- هنا (نديم فوزي).. مَن المتحدث؟

آتاه صوت اللواء (حلمي)، وهو يقول في حزن:

- (نديم).. يا ولدي.. لقد صدر قرار وزير الداخلية بشأنك.

سأله في هدوء:

- هل سيخفِّض رتبتي؟

أجابه صوت اللواء الحزين:

- كلا يا ولدي.. لقد انتزعها تمامًا.

عقد (نديم) حاجبيه، مغمغمًا:

- ماذا تعني يا سيدي؟

أجابه اللواء (حلمي) في صوت يقطر حزنًا:

- لقد فصلك يا ولدي.. إنَّك لم تعد تنتمي إلينا.. لم تعد تنتمي إلى جهاز الشرطة كله..

-٢-

رجال الشر..

ارتفع حاجبا (غادة) في دهشة، وارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتيها، عندما وقع بصرها على (نديم)، وهو يدلف إلى مبنى مديرية أمن (القاهرة)، بعد ثلاثة أيام فقط من الموقف السابق، فاندفعت نحوه هاتفة:

- (نديم).. مرحبًا بك هنا.. لقد تصوَّرت أنَّك.. أنَّك..

ارتجَّ عليها، فعجزت عن إتمام عبارتها مما جعله يسألها في هدوء:

- تصورت أنَّني ماذا؟

ضحكت قائلة:

- تصوَّرت في الواقع أنَّك لن تطأ هذا المكان بقدميك مرة أخرى.

مطَّ شفتيه، قائلًا:

- لأنَّهم فصلوني؟!.. لا يا عزيزتي.. صدقيني.. هذا لا يؤلمني أبدًا.

هتفت:

- هذا هو (نديم) الذي أعرفه.

ثم سألته في اهتمامٍ بالغٍ:

- ولكن ما سرُّ قدومك؟.. لقد انتهت إجراءات فصلك تمامًا، ويقال إنها أسرع إجراءات تمَّت هنا، في ظروف مماثلة.

أجابها في هدوء:

- جئت للحصول على ترخيص.

سألته في دهشة:

- ترخيص بماذا؟

صمت لحظة، ثم أجابها في هدوء:

- ترخيص بافتتاح مكتبٍ تحرٍّ خاصّ.

حدَّقت في وجهه لحظة في دهشة، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة عالية، وهي تقول:

- تحرٍّ خاصّ؟!.. أين تظن نفسك؟.. في أمريكا؟!

أجابها في حزم:

- بل في (مصر)، ولستُ أول من يحصل على ترخيص كهذا، أتحبين أن أذكر لك أسماء بعض المكاتب؟

ضحكت قائلة:

- لا داعي.. إنَّني أحفظها عن ظهر قلب.

ثم سألته مبتسمة:

- ولكن ما الذي تتوقع أن تفعله بمكتب تحرٍّ خاصٍّ هنا؟

رفع رأسه في شموخ، وهو يقول:

- أن أقيم العدالة.

تنهَّدَت وهزَّت رأسها مغمغمة:

- يا لك من رجل!

ثم عادت تبتسم، قائلة:

- ولكن هل تعلم من المسئول عن منح مثل هذه التصاريح؟

أجابها في هدوء:

- العقيد (مجدي).

ضحكت قائلة:

- وهل تتوقَّع أن يمنحك إياه؟

صمت لحظة، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه، وهو يقول في بساطة:

- ولم لا؟

ثم اتجه في ثبات نحو مكتب العقيد (مجدي)، وتتبعته (غادة) بعينيها لحظات، ثم لم تلبث أن هزَّت رأسها مرة أخرى، مغمغمة:

- يا لك من رجل..!

«مكتب تحرٍّ خاصّ؟!..»

لفظ العقيد (مجدي) هذا التساؤل، في مزيج من الامتعاض والاستنكار والدهشة والسخرية، قبل أن تُرسم على شفتيه ابتسامة متهكمة عريضة، ويقول:

- ولم لا تطلب ترخيصًا بإنشاء لواء مشاة؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- ليس هذا من حقي يا سيدي، فألوية المشاة من اختصاص القوات المسلحة.

انعقد حاجبا العقيد (مجدي)، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- هل تسخر مني أيُّها الرائد؟

أجابه في برود:

- لم أعد أحمل هذه الرتبة أيُّها العقيد!

احتقن وجه العقيد (مجدي)، وقال في حِدَّةٍ:

- مطلبك مرفوض يا (نديم).

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يقول:

- لماذا؟.. إن أوراقي كلها سليمة، فأنا مصري، من أبوين مصريين وصحيفتي الجنائية نظيفة، و...

قاطعه في شماتة:

- وعنيف إلى حدٍّ يكفي لعدم منحك الترخيص.

انعقد حاجبا (نديم) أكثر، فاستطرد العقيد (مجدي) في سرعة:

وهذا مسجَّل في أوراق رسمية، مع قرار فصلك من الشرطة.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة شامتة، وهو يردف:

- إنَّه رفض قانوني تمامًا.

أجابه (نديم) في برود صارم:

- ولكنه ليس عادلًا.

وازدادت ابتسامة العقيد (مجدي) اتساعًا وسخرية وشماتة، وهو يقول:

- إنَّه قانوني، وهذا يكفي.

حدجه (نديم) بنظرة باردة كالثلج، قاسية كالفولاذ، وهو يقول:

- هكذا؟!

ثم نهض من مقعده مستطردًا في صرامة مخيفة:

- إذن فأنت أيضًا تفصل ما بين القانون والعدالة.

ارتبك العقيد (مجدي)، وشعر بتوتر عجيب في أعماقه، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- هل تهددني؟

أجابه (نديم) في برود:

- وهل تحوي عبارتي أية كلمة تهديد؟

ثم استدار في هدوءٍ، واتجه نحو باب المكتب، وقد ساد المكان صمت رهيب وقطعه العقيد (مجدي)، وهو يقول في عصبية:

- اسمع يا (نديم).

توقَّف (نديم)، والتفت إليه في هدوء، فأردف في عصبية زائدة:

- لقد أصدرت قرارًا بسحب ترخيص السلاح الذي تحمله.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، وهو يتطلَّع إليه في برود، فأضاف العقيد في حِدَّةٍ:

- وهذا يعني أنَّك أصبحت ممنوعًا من حمل السلاح.

وفي حركة سريعة اندفعت يد (نديم) إلى جيب سترته، وانتزع مسدسه، وصوبه إلى العقيد (مجدي)، الذي شحب وجهه، وتراجع هاتفًا:

- ماذا تفعل؟.. هل جننت؟

مطَّ (نديم) شفتيه في برود، ثم ألقى مسدسه فوق مكتب العقيد (مجدي)، فارتطم المسدس الثقيل بزجاج المكتب، وهشمه، فاحتقن وجه العقيد (مجدي)، وتطلَّع في مزيج من

الذهول والاستنكار إلى (نديم)، الذي فتح باب الحجرة في هدوءٍ، وخطا إلى الخارج، فصاح به غاضبًا:

- سأعمل على أن تتحول إلى سجين.. هل تسمعني؟ سأوقع بك عند أول فرصة.. حذار أن..

قاطعه (نديم) بإغلاق الباب في قوة، وهو يغادر المكان في خطوات سريعة، وأسرعت (غادة) تلحق به، قائلة:

- لقد رفض.. أليس كذلك؟

أجابها وهو يواصل سيره المسرع:

- بلى.

هتفت:

- وماذا ستفعل؟

توقف بغتة، حتى أنَّها ارتطمت به في قوة، وهو يقول:

- لن أعدم وسيلة.

وانعقد حاجباه في قوة، وهو يقول وكأنَّه يُحدِّث نفسه:

- لقد استأجرت مكتبًا أنيقًا في وسط المدينة، وأثثته بأثاث فاخر، و...

قاطعته في سخرية:

- ليس هذا مستبعدًا، بالنسبة لابن مليونير.

التفت إليها في حِدَّةٍ، وقال:

- قلتُ لك إنَّني أبغض ذلك اللون من العبث.

هزَّت كتفيها، قائلة:

- لا بأس.. ماذا ستفعل بهذا المكتب الأنيق، ذي الرياش الفاخر؟

عقد حاجبيه مدة طويلة في صمت، ثم قال في جدية

بالغة:

- ما رأيك في مكتب محاماة؟

ابتسمت قائلة:

- ولكن هذا يتعارض مع مبادئك تمامًا.

سألها في دهشة:

- كيف؟

أجابته ضاحكة:

- المحامي يلتزم بالقانون تمامًا، وأنت ترفض هذا.

مطَّ شفتيه، وهو يقول:

- من قال إنَّني أرفض القانون؟

قالت ضاحكة:

- قرار فصلك من جهاز الشرطة.

أجابها في برود:

- دعابة سخيفة.

قالت ساخرة:

- لم لا تحاول الإتيان بمثلها؟

قال في حزم:

- لستُ متفرغًا لهذه التفاهات.

ثم استطرد في قوة:

- إنَّني أسعى إلى العدل وحده.

تطلَّعت إليه لحظة في صمت، وبدت له عيناها الخضراوان وكأنَّهما حقل فسيح من العشب الرطب، قبل أن تغمغم:

- أظن مكتب المحاماة يناسبك.

وعندما تركها وانصرف، كان قلبها ينبض في قوة..

وفي حب..

***

انعقد حاجبا (نعمان والي) في غضب ووحشية، وهو يقول من بين أسنانه:

- إذن فقد استأجر ذلك الرائد السابق مكتبًا في أحد أرقى أحياء وسط المدينة.. يا له من مغرور!

وضرب راحته اليسرى بقبضته اليمنى في سخط، وهو يستطرد:

- أيتصور ذلك الحقير أنَّه سيجد مجالًا للعمل وللربح، بعد أن لكم (نعمان والي).

أجابه أحد رجال:

- لقد رفضوا منحه ترخيصًا بفتح مكتب تحرٍّ خاصٍّ أيُّها الزعيم.

هتف (نعمان) مستنكرًا:

- مكتب تحرٍّ خاصٍّ؟!.. هل أصابه الجنون؟

أجابه الرجل:

- يبدو أنَّ رفضهم قد دفعه إلى تغيير خططه، فلقد وضع على باب مكتبه اليوم لافتة محاماة.

هتف (نعمان):

- محاماة؟!

ثم أطلق ضحكة عالية، قبل أن يستطرد:

- يا له من سخيف!

ووضع يده على كتف الرجل، مستطردًا في شراسة:

- اسمع يا (سيد).. خذ معك خمسة رجال، واذهبوا إلى مكتب ذلك المغرور.. أريد منكم أن تحولوا المكتب إلى أطلال.. هل تفهم؟

تألقت عينا (سيد) بجذل وحشي، وهو يقول:

- وماذا لو وجدنا ذلك الرائد السابق هناك؟

ابتسم (نعمان) ابتسامة جعلته أشبه بوحشٍ مفترسٍ، وهو يقول:

- ستكون فرصة طيبة لضرب عصفورين بحجر واحد، ولإضافة كومة من اللحم المفرَّى إلى جوار الأطلال.

ثم انعقد حاجباه في شدة، وهو يستطرد في انفعال:

- لن يبقى على قيد الحياة من أهان (نعمان والي).. لن يبقى أبدًا.

***

جلس (نديم فوزي) على مقعده الوثير، خلف ذلك المكتب الأنيق، في منتصف حجرته الخاصة، يراجع بعض الأوراق، التي يحتاج إليها لبدء نشاطه في مهنة المحاماة واستغرقه ذلك العمل في شدة، حتى تجاوزت عقارب الساعة الحادية عشرة مساءً، وساد هدوء شديد في تلك البناية، التي اختار فيها مكتبه، بعد أن انصرف موظفو كل المكاتب المحيطة به، وسكن الباقون في شققهم.

وفجأة تناهى إلى مسامع (نديم) وقع أقدام ثقيلة تقتحم مكتبه، رفع عينيه في دهشة، وعقد حاجبيه مغمغمًا:

- ما كل هذا الضجيج؟ الأمر يبدو كما لو أن قطيعًا من الأفيال يلج المكان.

غادر موقعه، واتجه نحو باب حجرته الخاصة، وهو يسمع وقع الأقدام الثقيلة يزداد قربًا..

وفجأة اقتحم الحجرة خمسة عمالقة، دفع أحدهم (نديم) أمامه في عنف، فهتف هذا الأخير في مزيج من الدهشة والاستنكار والغضب:

- ما هذا؟.. مَن أنتم؟

دلف إلى الحجرة رجل سادس، ابتسم في سخرية، وهو يقول في شماتة:

- لا عليك أيُّها الرائد السابق.. لن تلبث أن تجد جواب أسئلتك كلها في الجنة.

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يقول في توتر:

- أين؟!

رفع الرجل قبضته، التي التف حولها إطار حديدي ذو نتوءات بارزة، وكرَّر في سخرية صارمة:

- في الجنة.. حيث يذهب كل الأغبياء أمثالك.

ولم يكن هناك احتمال واحد لسوء الفهم..

ولم تكن هناك ذرة شك فيما سيتعرض له (نديم)..

وبسرعة لم تسبقها ذرة واحدة من التفكير، قفزت قبضته اليمنى تحطّم فكّ الرجل الممسك به..

وصرخ (سيد):

- اهجموا يا رجال.. أريد أن يستغرق تمييز بقايا هذا المغرور من بين أطلال مكتبه دهرًا.

وانقضَّ الرجال على (نديم)..

وبكل ما يملك من قوة، لكم (نديم) أحد الرجال في معدته، وحطم أسنان الثاني، ولكنه تلقَّى لكمة فولاذية في صدغه، ألقته أرضًا، وقبل أن ينهض، كانت هناك قدم تغوص في معدته، وأخرى تحطم إحدى أضلاعه..

وعلى الرغم من ذلك، فقد نهض، وأصاب رجلًا بلكمة في عنقه..

ثم انهالت عليه الركلات واللكمات، في عنفٍ لم ير له مثيلًا أبدًا..

كانت كل لكمة وكأنَّها تنتزع معدته من جسده، وتحيل فكَّه إلى فتات..

وأخيرًا سقط (نديم) متهالكًا، وشعر بمذاق الدم في فمه، ومن بين جفنيه المتورمين، رأى (سيد) يتجه إليه، ثم يبرز مدية ذات نصل حاد، وهو يبتسم في شراسة، قائلًا:

- لا تتألم أيُّها الرائد السابق.. سأنهي كل آلامك بطعنة طريقة في سويداء قلبك..

ورفع (سيد) مديته..

وأيقن (نديم) من أن ضعفه يمنعه من المقاومة..

وأنَّها النهاية..

***

-٣-

المولد..

انعكس بريق مصابيح المكتب على نصل المدية الحاد، والتمع في عيني (نديم) وهو يرى الموت على قيد خطوة واحدة منه، ينقضُّ عليه في وحشية وشراسة و...

وفجأة ارتفع صوت هادئ يقول:

- هل قطعتُ لهوكم؟

ميّز هو ذلك الصوت الأنثوي على الفور، وإن منعه تهالكه من رفع عينيه إلى مصدره، في حين التفت المجرمون الستة نحن (غادة)، التي وقفت بباب الحجرة، ومسدسها مصوَّبٌ إليهم، وغمغم (سيد) في توتر:

- ماذا تريدين؟

أجابته ساخرة:

- عجبًا!!.. يا له من سؤال!.. من منا ينبغي أن يجيب عنه؟

قال في حِدَّةٍ:

- ابتعدي.. هذا أمر يخصنا معه.

قالت في برود:

- ويخصني أيضًا فأنا أنتمي إلى جهاز الشرطة.

هتف أحد الرجال الستة في عصبية:

- هراء.. إنَّها كاذبة.

لوحت بمسدسها، قائلة في سخرية:

- ألم تر بطاقتي يا رجل؟

أشار (سيد) إلى أحد الرجال إشارة خفية، وهو يقول لها:

- حتى لو كنت من جهاز الشرطة، فلا شأنَ لك بما يحدث

هنا.

ثم استطرد مبتسمًا في دهاء:

- ولكل شيء ثمنه.

رفعت حاجبيها، وقالت ساخرة:

- حقًّا؟!

ثم هزَّت كتفيها مستطردة:

- لن أعترض على هذا، سأحل على الثمن.

وجذبت إبرة مسدسها، مردفة في صرامة:

- حياتك.

وفجأة صرخ (سيد):

- اهجموا.

وانقض الرجال الستة دفعة واحدة على (غادة)..

***

لم تتردد (غادة) لحظة واحدة في إطلاق النار على أقرب المهاجمين إليها، واستدارت إلى التالي في سرعة، ولكن قدم الثالث ركلت مسدسها في قوة، وانقضَّ عليها الرجال الخمسة يكبلون حركتها في عنف وقسوة، و(سيد) يقول في شماتة:

- لقد حذرتك، والآن من سينقذك من بين أيدينا؟

ارتفع صوت حازم صارم قوي، يقول:

- أنا.

تجمّد الجميع لحظة، واتسعت عينا (غادة) بين أيديهم في دهشة، خالطها الكثير من الإعجاب والتقدير، عندما رأت (نديم) واقفًا، مستندًا إلى مكتبه في صعوبة، وفي قبضته مسدس ضخم، وعيناه تحملان صلابة الدنيا كلها، وهو يقول:

- أنا سأقتلكم بلا رحمة، لو مسستم شعرة واحدة منها.

التفت إليه (سيد)، وحاول أن يخفي توتره وعصبيته بابتسامة، وهو يقول في بطء:

- وهل ستقتلنا كلنا؟

أجابه (نديم) في صرامة:

- ربما ليس كلكم، ولكن واحدًا أو اثنين منكم على الأقل.. هل تحب أن تنال هذا الشرف؟

شحب وجه (سيد)، وهتف في حِدَّةٍ:

- لن تجرؤ.

جذب (نديم) إبرة المسدس، وهو يقول في حزم:

- حاول.

كانت عيناه تحملان قدرًا هائلًا من الصلابة والعناد، جعل (سيد) يتجمَّد في مكانه، ويفقد السيطرة على تفكيره، لولا

أن هتف أحد رجاله في غضب، وهو يجذب (غادة) من شعرها، ويضع نصل خنجره على رقبتها:

- أطلق رصاصة واحدة، وسأحيل صديقتك إلى جزأين.. رأس وجسد.

انعقد حاجبا (نديم) في شدة، وارتسمت ابتسامة متشفية على وجه (سيد)، وهو يقول:

- الآن تعادل الموقف.

هتفت (غادة):

- محال.

ثم دفعت برأسها إلى الخلف في قوة، وضربت معدة الرجل الممسك بشعرها، ورفعت قدمها في الوقت ذاته، فركلت خنجره، وهي تستطرد في حزم:

- أطلق النار يا (نديم).. أطلق النار.

ولكن (نديم) لم يطلق النار، بل هتف محنقًا:

- اللعنة!

وألقى المسدس في وجه (سيد)، ثم قفز نحو هذا الأخير، وكال له لكمة أودعها كل قوته.. ولكن (سيد) تفادى لكمة (نديم) المتهالك، وهوى على معدته بلكمة كالقنبلة وهو يقول:

- خطأ أيُّها الرائد.. لا تقاتل قبل أن تتعافى من قتالٍ سابقٍ.

وأدرك (نديم) صحة هذه الحكمة، واللكمات تنهال عليه كالمطر، ورأى (غادة) تتلقى لكمة في مؤخرة رأسها، فتسقط فاقدة الوعي، فهتف في ثورة:

- أيُّها الأوغاد.

منحته ثورته قوة إضافية، فحطّم أسنان أقرب المهاجمين إليه بلكمة قوية، ودفع الثاني في عنف، واندفع نحو (غادة)، هاتفًا:

- لا.. لا تلمسوا شعرة واحدة من...

انقطعت عبارته، وانطلقت من أعماق صدره شهقة قوية، عندما قفز (سيد) نحوه، وغرس نصل مديته في معدته..

وجحظت عينا (نديم) من فرط الألم، وتراجع هاتفًا:

- أيُّها الحقير.

ثم سقط على ظهره، والدماء تنزف من موضع المدية في غزارة، وهتف (سيد) في وحشية:

- سأذبحه كالنعاج.. سأذبحه.

ولكن يد (نديم) أدركت مسدسه، الذي ألقاه من قبل في وجه (سيد)، فأمسك مقبضه، وأداره نحو هذا الأخير، قائلًا في حِدَّةٍ:

- حاول أيُّها الوغد.. حاول، وستخترق رصاصتي رأسك.

قبل أن يقدم (سيد) على خطوة واحدة، ارتفع صوت بوق

سيارات الشرطة المميز، فانعقد حاجبا هذا الأخير، وقال في حنق:

- فيما بعد.. سنلتقي مرة أخرى فيما بعد.

وأشار إلى رجاله، وهو يستطرد في سخط:

- وعندما نفترق حينذاك، سيكون أحدنا جثة هامدة.

أسرع رجاله يحملون زميلهم، الذي أصابته رصاصة (غادة)، وانطلقوا يغادرون المكان في سرعة، دون أن يطلق (نديم) خلفهم رصاصة واحدة، وصوت أبواق سيارة الشرطة يزداد قربًا، وتطلّع هو إلى (غادة)، الفاقدة الوعي، ثم إلى مسدسه، وغمغم:

- اللعنة!!..

وسقط فاقدًا الوعي..

***

لم يدر (نديم) كم بقي فاقدًا الوعي، ولكنه عندما استعاد وعيه، حدث ذلك بغتة، كحجرة مظلمة أضيئت فيها الأنوار على حين غرة..

فجأة، وجد نفسه يشعر بكل ما حوله، ففتح عينيه، لتواجهه أضواء خافتة، عجز - على الرغم من خفوتها – من التطلع إليها لحظات، وإن ميّز وجهًا أنثويًا ينحني نحوه، فغمغم:

- (غادة).. أهو أنت؟

آتاه صوتها، وهي تقول في حنان:

- نعم.. هو أنا.. استرح.. حمدًا لله على سلامتك.

فتح عينيه ليتطلع إلى وجهها لحظة، قبل أن يسألها:

- ماذا حدث؟.. أين نحن؟

أجابته في خفوت:

- اطمئن.. قد نجونا.. الرصاصة التي أطلقتها أنا جعلت بعض ساكني البناية يستدعون رجال الشرطة، الذين وصلوا في الوقت المناسب، ولقد أصابك أحد هؤلاء الأوغاد بطعنة نافذة في معدتك، استدعت أن تظل في حجرة العمليات لساعتين كاملتين، ولكنك الآن بخير والحمد لله.

ثم تحسست شعره، مستطردة:

- ولقد كنتَ شجاعًا رائعًا، ولقد نقلك رجال الشرطة إلى المستشفى هنا بأقصى سرعة.

سألها في اهتمام:

- وهل ألقوا القبض عليهم؟

هزَّت رأسها نفيًا، قبل أن تقول في أسفٍ:

- لقد نجحوا جميعًا في الفرار.

هتف محنقًا:

- إنَّهم رجال (نعمان والي).. أعلم ذلك.

آتاه صوت من الناحية الأخرى لفراشه، يقول في صرامة:

- ألديكَ دليل على قولك هذا؟

التفتَ إلى مصدر الصوت، وعقد حاجبيه في ضيق، وهو يقول:

- لا يا سيادة العقيد (مجدي).. ليس لديَّ دليل على هذا.

أجابه العقيد (مجدي) في صرامة:

- لا تتهمهم إذن.

تطلَّع إليه (نديم) في برود، فاستطرد العقيد (مجدي):

- لقد كان سيادة اللواء (حلمي) هنا، ولقد توقع أن تتهم رجال (نعمان)، وأنَّك لن تملك دليلًا على هذا.

قال (نديم) في برود:

- ولكن القانون يمنحني كمواطن حق اتهامهم، ومهمتكم أنتم يا رجال الشرطة أن تجدوا الدليل.

ابتسم (مجدي) في سخرية، وهو يقول:

- القانون؟!.. هل أصبحت تؤمن الآن بسيادة القانون؟

ران الصمت لحظة، قبل أن يقول (نديم):

- بل.. بسيادة العدالة.

لوَّح (مجدي) بكفه، قائلًا في صرامة:

- لا فارق.

أجابته (غادة) في حزم:

- بل هو فارق رهيب.

التفت إليها في حِدَّةٍ، ثم لوَّح بكفه مرة أخرى، قائلًا:

- لا بأس.. لم أعد أملك سلطانًا عليكِ.

ثم سأل (نديم) في صرامة:

- اسمع يا (نديم).. هل لك أن تحتمل اتهامًا؟

رفع (نديم) حاجبيه في دهشة، وقال في غضب:

- أحتمل اتهامًا؟! كنت أظنني المجني عليه لا المتهم.

ابتسم (مجدي) في شماتة، وهو يقول:

- ولكنك كنت تمسك مسدسًا، عندما عثر عليك رجال الشرطة، ولقد حذرتك من هذا.

تطلَّع إليه (نديم) لحظة في صمت، ثم قال:

- هل فحص رجال المعمل الجنائي المسدس؟

أجابه (مجدي) في صرامة:

- لا فارق.. محظور عليك حمل كل الأسلحة النارية.

قال (نديم) في برود:

- ولكن هذا المسدس ليس سلاحًا ناريًّا.

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يقول:

- هل تعلَّمت المزاح؟

أجابه (نديم) بنفس البرود:

- مطلقًا، ولكنني كنت أحمل مسدسًا صوتيًا، وليس حقيقيًّا.

أطلقت (غادة) ضحكة ساخرة طويلة، احتقن لها وجه (مجدي) في شدة، قبل أن يقول في غضبٍ:

- لا بأس.. سنلتقي مرة أخرى.

واندفع خارج الحجرة، وأغلق الباب خلفه في قوة..

وابتسمت (غادة)، وهي تلتفت إلى (نديم)، قائلة:

- لقد أفحمتَه.

مطَّ شفتيه، قائلًا:

- إنَّه يفكر بمنطق معكوس.. لقد ترك المجرمين القطعيين، وأخذ يبحث عن سبب حملي مسدسًا.

صمتت لحظة، ثم قالت:

- هل تعلم أنَّني بدأت أؤيدك في هذا الشأن؟

فسألها في هدوء:

- أي شأن؟

قالت:

في وجود فارق هائل، بين العدالة والقانون.

سألها في اهتمام:

- وإلى أي جانب تميلين؟

ابتسمت قائلة:

- إلى جانب العدالة بالطبع.

سألها بغتة:

أخبريني يا (غادة).. كيف تصادف أن وصلت إلى مكتبي، في هذا اليوم بالذات، ولماذا قال (مجدي) إنَّه لم يعد لديه سلطان عليك؟

أجابته مبتسمة:

- سأجيب عن السؤال الثاني قبل الأول، (مجدي) لم يعد لديه سلطان عليّ؛ لأنني استقلت من الشرطة.

رفع حاجبيه، وهو يهتف في دهشة:

- استقلتِ؟!

أجابته بنفس الابتسامة:

- نعم.. تصوَّرت أنَّك قد تحتاج إلى شريكة في عملك الجديد، و..

تضرج وجهها بحمرة خجل خفيفة، قبل أن تستطرد:

- ولقد أتيت إلى مكتبك لهذا السبب، ولأنه كان عيد ميلادك.

هتف في مزيد من الدهشة:

- عيد ميلادي أنا؟

أومأت برأسها إيجابًا، ثم أخرجت من جيبها حافظة مفاتيح ذهبية، تنتهي بتمثال دقيق لعقرب من الذهب، وهي تتابع:

- ولقد أتيت لأقدِّم لك هذه الهدية، فأنت من مواليد برج العقرب.. أليس كذلك؟

مدَّ يده يتناول الحافظة منها، وتطلَّع إلى العقرب الذهبي طويلًا، قبل أن يرفع عينيه إليها، قائلًا في حزمٍ:

- نعم يا (غادة).. أنا من مواليد برج العقرب.

وتألقت عيناه ببريقٍ عجيبٍ، وهو يستطرد:

- وسأحتاج في المرحلة القادمة لشريك بالطبع، وأنتِ أروع من أن أرفض مطلبك في هذا الشأن.

ثم عاد يرفع العقرب الذهبي إلى عينيه، مستطردًا:

- وسيكون هذا شعار المرحلة القادمة.

والتمعت عيناه في شدة، مردفًا:

- العقرب..

وفي تلك اللحظة، أعلَن القدر مولد محاربٍ جديدٍ من محاربي الجريمة.

مولد من سترتجف له قلوب أعتى المجرمين، ويرتفع له سيف العدالة عاليًا..

مولد (العقرب)...

***

-٤-

الحفل..

تألق ذلك القصر الفاخر المنيف؛ المطل على نيل (القاهرة) الساحر، بأضواء مبهرة، في تلك الأمسية من أمسيات أغسطس الدافئة، وخُيِّل لجيرانه ومشاهديه أنَّ القصر القديم، الذي يعود إلى عهد أحد أمراء الأسرة العلوية، قد استعاد مجده ومباهجه، بعد أن ابتاعه منذ أشهر قليلة، المليونير المعروف (نعمان والي)، بمبلغ تبلغ الأصفار المتراصة على يمينه ستة أصفار بالتمام والكمال..

وكانوا على حق ..

لقد كان (نعمان) يقيم في قصره الجديد حفلًا ضخمًا، تكلَّف مبلغًا باهظًا بكل المقاييس، واحتشدت فيه نخبة من صفوة رجال المجتمع، والفن، والسياسة، وانهمك (نعمان) في الاحتفاء بالجميع، وإبراز اهتمامه بكل من الحاضرين، وتقديم مختلف صنوف الطعام والشراب لهم، في بذخٍ شديدٍ، بهر ضيوفه تمامًا فاقتصرت كل أحاديثهم تقريبًا عنه، مما

جعل أوداجه تنتفخ، ودفع رجله الأول (سيد)، إلى أن يهمس في أذنه:

- لقد أسلت لعابهم حقًّا أيُّها الزعيم.

حافظ (نعمان) على ابتسامته أمام الحاضرين، وهو يهمس في صرامة:

- لا تستخدم لفظ (الزعيم) هذا أبدًا، وإلا قطعت لسانك يا (سيد).. إنَّني هنا (نعمان بك) فقط.

ابتسم (سيد) قائلًا:

- بل أنت (نعمان باشا) أيُّها الزعيم.

أدار (نعمان) عينيه إليه في صرامة غاضبة، فاستطرد في سرعة:

- أقصد يا سعادة البك.

كان من الواضح أنَّ (نعمان والي) سيسب الرجل، أو ينفجر

في وجهه، لولا أن أتى أحد الحاضرين في تلك اللحظة، وسأل (نعمان)، والانبهار ما زال يملأ جوانحه:

- قل لي يا (نعمان بك).. هل ستعمد إلى ترشيح نفسك في الدورة القادمة؟

أجابه (نعمان)، وهو يرسم على وجهه ابتسامة مناسبة:

- بالطبع.



هتف الرجل:

- سَتربح حتمًا.

رفع (نعمان) أحد حاجبيه، وهو يقول:

- أهذا رأي شخصي؟

أطلق الرجل ضحكة كبيرة، وقال:

- لا بالطبع.. إنَّه عرض عملي.

اتسعت ابتسامة (نعمان)، وهو يقول:

- وأنا أيضًا أحب اقتناص فرصة العروض العملية.

ثم مال نحو الرجل، مستطردًا في لهجة ذات مغزى:

- ما رأيك لو ناقشنا ذلك في مكتبي؟

تلفَّت الرجل حوله في حذرٍ، ثم ابتسم ابتسامة متلهفة، وهو يقول:

- هذا يبدو لي جيدًا.

قاده (نعمان) في هدوء إلى حجرة مكتبه، وقال لـ(سيد) في حزم:

- لا أحب أن يزعجنا أحد.

قال (سيد):

- بالتأكيد يا سيدي.

أغلق (نعمان) باب مكتبه في إحكام، ثم التفت إلى الرجل المصاحب له، وقال:

- ما خطتك هذه المرة؟

لوَّح الرجل بكفه، وهو يقول في حماس شَرِهٍ:

- تمامًا كما فعلنا في المرة السابقة يا (نعمان بك)، سنبدل الصندوق الحقيقي بآخر زائفٍ، تحمل كل أوراقه اسمك.

ابتسم (نعمان)، مغمغمًا في زهو:

- لا.. ليس كلها، يكفي ثمانون في المائة منها، حتى لا يبدو التبديل واضحًا.

ثم استطرد في صرامة مباغتة:

- على أن يتم الأمر بصورة أفضل، ففي المرة السابقة كاد أمركم ينكشف، بسبب مندوب المرشح المنافس.

ازدرد الرجل لعابه، وقال:

- اطمئن يا (نعمان بك)، سيسير كل شيء على ما يرام هذه المرة.

ضرب (نعمان) سطح مكتبه في حزم، وهو يقول:

- لا بد، وإلا فلن أدفع باقي المبلغ.

ازدرد الرجل لعابه مرة أخرى، وغمغم مضطربًا:

- بلا شك يا (نعمان) بك.. بلا شك.

استدار (نعمان) إلى خزانته، وعالج أرقامها السرية في سرعة، ثم فتحها، وتناوَل منها خمس رزم أوراق نقدية، وهو يقول:

- سأعطيك خمسة آلاف جنيه تحت الحساب، و...

بتر عبارته بغتة، عندما سقطت بطاقة صغيرة من بين الرزم المالية، واستقرت فوق سطح المكتب، وانعكست الأضواء

على رسمٍ لعقرب ذهبي يتوسطها، فحدَّق فيها (نعمان) في دهشة واستنكار، قبل أن يلقي رزم أوراق النقد جانبًا، ويهتف محنقًا، وهو يلتقط البطاقة:

- ما هذه بحق السماء؟

ازداد اضطراب الرجل، وهو يغمغم:

- ما هذه يا (نعمان) بك؟

رفع (نعمان) عينيه إليه في حِدَّةٍ، ثم التقط رزم الأوراق النقدية وألقاها في وجهه، هاتفًا:

- لا شأن لك بهذه.. خذ نقودك، وانصرف من هنا..

انحنى الرجل يلملم النقود في سرعة، ثم أسرع يغادر الحجرة، وهو يهتف متلعثمًا مرتبكًا:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.. كما تأمر.

لم يكد الرجل يغادر الحجرة، حتى هتف (نعمان) في

غضب:

- (سيد).

أسرع إليه (سيد)، هاتفًا:

- بم تأمر أيُّها الزعيم؟

صرخ (نعمان) ثائرًا:

- قلت لك ألَّا تستخدم هذا المصطلح أبدًا.

ثم رفع البطاقة أمام وجهه، مستطردًا في غضب:

- ما هذه؟

تطلَّع (سيد) إلى البطاقة في حيرة، وهو يغمغم:

- ما هي أيُّها الز... أعني يا سيدي؟

صاح (نعمان) في وجهه:

- أنا أسألك أيُّها الغبي.

عاد (سيد) يتطلَّع إلى البطاقة في اهتمامٍ مبالغ فيه، ويعقد حاجبيه على نحو مثير للسخرية، وهو يقول:

- إنها بطاقة بيضاء لامعة يا سيدي.. تحمل رسمًا لعقرب ذهبي اللون في منتصفها، و...

قاطعه (نعمان) في ثورة:

- وهل طالبتك بوصفها أيُّها الغبي؟.. لقد وجدت هذه البطاقة في خزانتي، فكيف وصلت إليها؟

حدَّق (سيد) في وجهه في ذهول، مُردِّدًا:

- في خزانتك؟!

ثم استطرد حائرًا:

- ولكن خزانتك من نوعٍ خاصٍّ يا سيدي، وذات طرازٍ فريدٍ، فهي مصنوعة من صلبٍ مدرَّعٍ، يستحيل اختراقه بالوسائل

التقليدية، ومزودة بجهاز إنذار بالغ التعقيد، ورقم سري مركب معقد.. لا يعلمه سواك، فكيف تصلها هذه البطاقة، دون أن تعلم عنها شيئًا؟

لوَّح (نعمان) بذراعيه في قوة، وهو يهتف:

- لست أدري كيف، ولكنها وصلت بالفعل، وهذا يعني أن أحدهم قد اخترق حاجز سرية خزانتي الخاصة.

هتف (سيد):

- مستحيل يا سيدي!.. مستحيل!!

قال (نعمان) في حِدَّةٍ:

- ولكن البطاقة هنا..

أمسك (سيد) البطاقة مرة أخرى، وتطلّع في رهبة إلى العقرب الذهبي الذي يتوسطها ثم غمغم:

- وما الذي تعنيه تلك البطاقة؟

هتف (نعمان):

- فلتعن ما تعنيه.. هذا لا يهمني.. المهم أن أعلم كيف بلغت خزانتي الخاصة.

أتاه صوت من خلفه، يقول في صرامة:

- أنا وضعتها.

استدار (نعمان) في سرعة إلى مصدر الصوت، ثم تراجع في حركة حادة عنيفة كالمصعوق، وقفزت يد (سيد) إلى جيب سترته، حيث يخفي مسدسه، لولا أن ارتفع نفس الصوت الصارم يقول في لهجة قاسية:

- حذار يا رجل.. ستخترق رصاصة مسدسي رأسك، قبل أن تلمس مقبض مسدسك.

أبعد (سيد) يده عن سترته في بطء، وهو يتطلّع في دهشة بالغة إلى ذلك الشاب المتشح بالسواد، الذي يرتدي سروالًا وقميصًا مغلق العنق، من اللون الأسود القاتم، وقفازين من اللون نفسه، وقد أخفى وجهه من منتصف جبهته، حتى أنفه

بقناع أسود كبير، انسدلت فوقه خصلة من شعره الأسود الفاحم، وفي يد الشاب، كان هناك مسدس ضخم مصوَّب إلى الرجلين..

وهتف (نعمان والي) في عصبية:

- مَن أنت؟.. وأي زي سخيف هذا الذي ترتديه؟

أجابه الشاب في برود:

- بطاقتي تحمل اسمي أيُّها الوغد.

غمغم (نعمان):

- أي اسم؟

بدا صوت الشاب قاسيًا كالفولاذ، وهو يقول:

- العقرب يا رجل.. اسمي العقرب.

ران الصمت على الحجرة لحظات، و(نعمان) و(سيد)

يُحدِّقان في وجه (العقرب) ذي القناع، قبل أن يهتف (نعمان) في عصبية:

- يبدو أنَّك وصلت إلى هنا من باب الخطأ، فالزي الذي ترتديه يوحي بأنَّك كنت في طريقك إلى ستوديو سينما، لا إلى هنا.

أجابه (العقرب) في برودة قاسية كثلوج القطبين:

- بل إلى السيرك، ولقد بلغته حتمًا، فها هو ذا المهرج أمامي، إلى جوار دبٍّ غبي.

عقد (نعمان) حاجبيه، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- ماذا تقصد؟

أجابه (العقرب) في هدوء:

- أيهما تفضل؟.. المهرج أم الدب؟

احتقن وجه (نعمان) لحظات، قب أن يقول في حِدَّةٍ:

- اسمع يا رجل، لو أنَّك لصٌّ فأنا..

قاطعه (العقرب):

- اطمئن.. لستُ لصًّا.

هتف (نعمان) في عصبية:

- لم هذا الزي إذن؟.. وماذا تريد؟

ارتجف جسد (نعمان) في رعب، مع ذلك الصوت المخيف، الذي خرج من بين شفتي الشاب المقنع مغمغمًا بالبغض والكراهية، وهو يقول:

- أنت يا (نعمان).. أريدك أنت.

بدا التوتر على وجه (سيد)، في حين تراجع (نعمان)، هاتفًا في رعب:

- هل.. هل ستقتلني؟

أجابه الشاب المقنع في صرامة مخيفة:

- لا.. لن أقتلك أيُّها الوغد.

هتف (نعمان):

- ماذا تريد مني إذن؟

أجابه بصوت كالفولاذ:

- أن أدمرك.

ردَّد (نعمان) في ذهول:

- تدمرني؟

أجابه (العقرب) في كراهية:

- نعم يا (نعمان).. إن مبتغاي هو تدميرك، فأنت تمثِّل كلَّ الشر الذي أكرهه في الدنيا.. إنَّك القوة الغاشمة، التي تتخذ من ثغرات القانون البشري فجوة للنفاذ إلى عالم لا خير فيه

ولا رحمة، لتعيث في الأرض فسادًا بلا حدود.. أنت رمز كل قذارات البشر يا (نعمان والي).

صمت المقنع لحظة قصيرة، ثم أضاف في صرامة، تجمّدت لها الدماء في عروق (نعمان):

- ولهذا سأدمرك.

قال (نعمان) في توتر:

- ربما أنت مخطئ في تصورك هذا عني، فأنا رجل شريف، و...

قاطعه المقنع في حزم:

- لا تحاول يا وغد الأوغاد، فأنا لست قاضيًا يستمع إلى دفعاك، ليبني عليه حكمه، ولست محاميًا يسعى للعثور على ثغرة قانونية تدينك.. معي ستختلف كل الأمور، وستنقلب كل المعايير.. معي لن يحتاج الأمر إلى أدلة أو قرائن، ولن تصلح الحصانة الدستورية التي تحملها.. معي سيكون طريق العدالة واضحًا منبسطًا، بلا تعقيدات.

قال (نعمان) متوترًا:

- اسمع.. إنَّني مستعد لـ...

قاطعه مرة أخرى:

- لا فائدة أيُّها الحقير.. لقد صدر الحكم بشأنك، وأنا أعمل على تنفيذه فحسب..

وعاد صوته قاسيًا كالفولاذ، وهو يستطرد:

- استدر أيُّها الوغد.. أنت وذلك الدب الذي يجاورك.

استدار (نعمان) وهو يرتجف، قائلًا:

- هل.. هل ستقتلني؟

أجابه (العقرب):

- لا.. لستُ حقيرًا مثلك، لأطلق النار على رجل في ظهره، ثم إنَّني لا أسعى إلى قتلك، بل إلى تدميرك، وهناك فارق كبير

بين الأمرين، فقتلك الآن قد يمنحك صورة الشهيد، ويدفع الآلاف للبكاء عليك، أما ما سأفعله بك، فسيجعلهم يبصقون على وجهك، وأنت خلف قضبان سجنك.

ارتعد صوت (نعمان)، وهو يغمغم في انهيار:

- ولكن.. أنا لستُ.....

هتف (سيد) بغتة، وهو يقفز جانبًا، ويدفع زعيمه إلى الجانب الآخر:

- ابتعد أيُّها الزعيم.

وانتزع مسدسه من جيب ستره في سرعة خرافية، واستدار إلى حيث وقف (العقرب)..

وأطلق النار..

***

-٥-

التحدى..

كان قع دوي الرصاصة في الحفل أشبه بسباب سوقي بذئ، انطلق وسط قاعة نادٍ اجتماعي أنيق، يقتصر ارتياده على علية القوم، فلقد كان قصر (نعمان) مكتظًّا بأكبر حشد ممكن من نجوم المجتمع، من مختلف الطوائف، وكان دوي الرصاصة كافيًا لأن يسود المكان صمت تام، مفعم برهبة مبهمة، وأشبه بالهدوء التقليدي، الذي يسبق أية عاصفة.

ولعل الوصف الأخير هو الأكثر دقة، فلم تلبث لحظة الصمت أن تفجّرت بغتة، على هيئة عاصفة من التوتر، والصياح والفزع واندفع عدد من الحاضرين يحاولون الفرار من خطر مجهول، في حين التف البعض الآخر حول بعضه البعض، وهتف أحد ذويه الحيثية، من رجال السياسة:

- ما هذا؟.. أهو هجوم إرهابي؟

هتف آخر في توتر:

- ينبغي أن نتصل برجال الشرطة على الفور..

وصاح ثالث:

- ولكن أين (نعمان) بك؟.. أين هو؟

هتف رابع:

- في مكتبه.. لقد انطلقت الرصاصة من هناك.

انطلق عدد من الرجال نحو حجرة المكتب، على نحو غريزى، وراح بعضهم يدق بابها، هاتفًا:

- (نعمان) بك.. ماذا حدث؟.. ماذا حدث؟.. أجب.. ماذا حدث؟

في نفس اللحظة، كان (سيد) يحدِّق في نافذة حجرة المكتب، حيث كان يقف المقنع منذ لحظات، وهو يهتف ذاهلًا:

- مستحيل!!.. لقد كان يقف هناك.. لقد أطلقت النار حيث

كان يقف مباشرة.. أتلاشى؟.. أم أنَّنا كنا....؟

صاح به (نعمان) في غضب وثورة:

- ماذا فعلت أيُّها الغبي؟.. أتطلق النار في حفل؟!

انتبه (سيد) بغتة لما فعل، فامتقع وجهه، وهو يخفي مسدسه في جيب سترته في سرعة، مغمغمًا:

- معذرة أيُّها الزعيم.. إنَّني لم أنتبه.

هتف به (نعمان)، وقد بلغ توتره ذروته:

- فلنعمل على تهدئة الحضور أولًا، ثم حاوِل أن توقع بذلك المقنع قبل أن يفر من هنا.

قالها واندفع نحو باب حجرة مكتبه، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية مناسبة، وفتح الباب، وهو يقول ملوحًا بذراعيه:

- لا داعي للتوتر أيُّها السادة.. لا داعي للتوتر.. إنَّما هي

تجربة جهاز أمن جديد.. لم تحدث أية أضرار.. اطمئنوا.

تنفَّس الجميع الصعداء، وهتف أحدهم:

- يا إلهي يا (نعمان) بك.. لقد أرعبتنا حقًّا.

اطمأن الجميع لظهور (نعمان) وسط الحفل مرة أخرى.

وراح توترهم يتلاشى، ويذوب تدريجيًّا مع بذخ موائد الطعام وابتسامة (نعمان) المدروسة المرسومة، في نفس الوقت الذي كان (سيد) يستشيط فيه غضبًا، وهو يهتف في وجه أحد رجال أمن القصر الخاص:

- كيف لم يره أحدكم؟.. ما مهمتكم هنا إذن؟.. لقد تسلَّل ذلك المقنع إلى حجرة مكتب (نعمان) بك، وكاد يقتلنا، دون أن ينتبه إليه أحدكم.. يا لخسارة ما تتقاضونه من مرتبات باهظة!!

أجابه رجل الأمن في حِدَّةٍ:

- إنَّنا نقوم بعملنا جيدًا يا سيدي، وأستطيع أن أجزم بأنَّ

أحدًا لم يلج بوابة السراي، دون أن يحمل بطاقة دعوة رسمية، وبمجرد ولوج الضيوف إلى القصر، تنتهي مهمة مراقبتهم، فأنت تعلم أنَّ (نعمان) بك يكره أن يشعر ضيوفه أنَّهم تحت المراقبة.

عقد (سيد) حاجبيه في توتر، وهو يقول:

- أتعلم ما يعنيه قولك هذا يا رجل؟ إنَّه يعني أن هذا المقنع قد ولج القصر حاملًا بطاقة دعوة، أي إنَّه أحد ضيوف (نعمان) بك.

غمغم الرجل في حذر:

- ولكن أحدًا من الضيوف لم يكن يرتدي قناعًا، و....

قاطعه (سيد) في حنق:

- تبًا لغبائك هذا.. أتتصور أنَّه دخل مرتديًا قناعه؟!.. كلَّا بالتأكيد أيُّها الغبي.. لقد ارتدى القناع في الداخل.. ربما جاء مرتديًا سروالًا وقميصًا أسودين، وأضاف إليهما القناع والقفازين فيما بعد... أو...

بدا له لحظة أنَّ حديثه لا يعني شيئًا، فبتره ليلوح بكفه، هاتفًا في حنق:

- لا عليك.. دعك من هذا.

وغادر ركن الحراسة، وهو يستطرد في سخط:

- أراهن أنَّنا لن نعثر على أثر لذلك المقنع.. لقد ربح جولته هذه المرة.. اللعنة؟

***

أطلقت (غادة) ضحكة جذلة عالية، وهي تجلس إلى جوار (نديم)، في سيارة هذا الأخير، التي ينطلق بها مبتعدًا عن قصر (نعمان)، وهتفت في سعادة ونشوة غامرتين:

- رائع يا (نديم).. بداية رائعة بحق.. لقد أدركتُ الآن لماذا لم تحتمل أبدًا العمل في صفوف الشرطة، فأنت لم تخلق لذلك، بل خلقت محتالًا حقيقيًا.. لقد أحسنت اللعبة كما لم يفعلها أحد من قبل.

أجابها في هدوءٍ وبساطة، وهو ينزع عن وجهه شاربًا مستعارًا:

- لم يكن الأمر متقنًا إلى هذا الحد!

هتفت ضاحكة:

- كيف؟.. إنَّك تدير اللعبة في براعة منقطعة النظير.

واعتدلت في مجلسها، وهي تضيف في حماس:

- لقد درستَ كلَّ شيء في هدوءٍ وإتقانٍ أحسدك عليهما، فحصلت على واحدة من بطاقات الدعوة إلى حفل (نعمان)، وقمت بطباعة نسخة طبق الأصل منها، ساعدتنا على أن ننضم إلى ضيوف الحفل، ونحن نحمل صفة الدكتور (برهان سالم) وزوجته، وكان تنكرك بسيطًا وفعالًا، فلقد اكتفيت بصبغ شعرك ليبدو أشيب اللون، وارتديت شاربًا أشيب مستعارًا، ومنظارًا طبيًا، ونظرًا لأن أحدًا لم يكن ينتظر حدوث أية مفاجآت، فلم تكن تحتاج إلى أكثر من هذا التنكر البسيط، وفي الوقت نفسه كنتَ تبدو أنيقًا في حلتك، ذات السروال والقميص الأسودين، والسترة البيضاء، ورباط العنق

الأبيض، فلم يكن هناك جهد يذكر، في أن ننتحي ركنًا قريبًا من حجرة المكتب، فتتنزع رباط العنق والسترة، وترتدي بدلًا منهما القناع والقفازين.

قال في هدوء:

- كان هذا هو أبسط جزء في اللعبة كلها.

قالت موافقة في حماس:

- بالتأكيد، فالجزء الأهم هو الوسيلة التي دسست بها بطاقتك الخاصة في خزانة (نعمان).

قال في بساطة:

- لا ريب أنَّه لن يذوق طعم النوم الليلة، وهو يحاول إيجاد تفسير لوجود البطاقة داخل خزانته، ولكنه لن يتصور أبدًا أنَّه هو من وضعها بنفسه.

أطلقت ضحكة مرحة أخرى، وهو تقول:

- من الطبيعي ألا يخطر هذا بباله، فهو لا يمتلك مثل ذكائك أيُّها العبقري.. فلقد تعمَّدت أنت أن ترسل إليه رجلًا، قبيل الحفل بقليل، يعرض عليه شراء صفقة كبيرة من مزرعة الدواجن الخاصة به، ثم ينقده عربونًا مناسبًا، وكان من الطبيعي، وسط انشغال (نعمان) بالإعداد للحفل، أن يضع النقود في خزانته الخاصة، دون أن ينتبه إلى أنَّها تحوي بطاقات فيما بينها.

تألقت عينا (نديم)، وهو يقول:

- من الطبيعي ألا ينتبه إلى ذلك، فالأوغاد مثل (نعمان) هذا، اعتادوا أن ترتبط الحيل دومًا بسلب النقود، لا بمنحها؛ لذا فهم لا يشكون فيمن يمنحهم نقودًا، مهما بلغت درجة ثرائهم.

ران عليهما الصمت لحظة، قبل أن تلتفت إليه (غادة)، وتقول في اهتمامٍ جادٍّ:

- أتعلم أنَّ أسلوبك هذا يدهشني حقًّا يا (نديم)؟

سألها:

- لماذا؟

تنهَّدت قبل أن تجيب:

- أنا واثقة تمامًا من وجود بركان ثائر في أعماقك، فغضبك مما فعله بك رجال (نعمان) منذ ثلاثة أشهر، لم يتلاشى بعد، وعلى الرغم من ذلك، فأنت تخطِّط للأمر، وتعده، وتنفذه في هدوء عجيب، وكأنَّك تضع سيناريو رواية بعيدة عن عالمك الحقيقي.

صمت لحظات، وهو يقود السيارة، ثم أجاب في صوتٍ قوي حازم:

- هذا ما عاهدت نفسي عليه، منذ تم شفائي من طعنة خنجر رجال (نعمان) يا (غادة).. لقد أدركث وأنا أرقد هناك، في المستشفى، أنَّني أواجه واحدًا من أكثر الأوغاد في العالم استهتارًا بالقيم، وأنَّه قد اعتاد التلاعب بالقوانين واللوائح، مستغلًّا ثغراتها، ومثل هذا الشخص يحتاج إلى خصم يتجاهل القانون بدوره، ويتجاوز كل القواعد، في سبيل هدفٍ واحدٍ.

صمت وهلة، ثم أضاف في حسمٍ:

- في سبيل العدالة.

ابتسمت في إشفاق، وهي تملأ عينيها بوجهه النحيل الوسيم، مغمغمة:

- سيتطلب منك هذا جهدًا فائقًا، تلعب دورًا بالغ الخطورة، محاولًا تقليد (زورو)، وهذا يجعلك تواجه خصمين في آن واحد، كلاهما يمتلك القوة والبأس.

قال في هدوء:

- كنت أظنني أوجه خصمًا واحدًا، هو (نعمان والي).

قالت في حسم:

- وتواجه الشرطة أيضًا.

ران عليهما الصمت لحظات، ثم قال في هدوء:

- إنَّني أواجه الشرطة دومًا، حتى وأنا أعمل في صفوفها.

قالت في هدوء مماثل:

- المواجهة ستكون أكثر صعوبة هذه المرة، فعملك أقرب إلى عمل الخارجين عن القانون، وسيثير هذا رجال الشرطة.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يقول:

- ولكنني لستُ أظن (نعمان والي) يبلغ الشرطة هذه المرة.

قالت في حزم:

- وما الذي يمنعه؟

أجابها في بساطة:

- خوفه على سمعته.

أدهشها الجواب، فقالت في حيرة:

- هل لك أن تفسِّر لي هذه النقطة؟

أجاب في هدوء:

- هل تذكرين ردَّ فعلك، عندما أخبرتك بعد مغادرتي المستشفى، أنَّني سأتحول إلى شخصية (العقرب)؟

قالت في اهتمام:

- بالطبع، فلقد أدهشني ذلك في شدة، وقلت لك وقتها إنَّك تحاول تقليد الأفلام السينمائية، وأنَّ الفارس المقنع لا وجود له في الحياة الحقيقية.

قال:

- عظيم.. لو أنَّك الليلة في موضع (نعمان والي)، ورأيت فجأة شخصًا مقنعًا، يشبه فرسان السينما، هل ستبلغين الشرطة بذلك؟

تردَّدت لحظة، قبل أن تبتسم مجيبة:

- لا.. لستُ أظنني سأفعل.

سألها في اهتمام:

- لماذا؟

أجابته ضاحكة:

- لأن أحدًا لن يصدقني، وسيتصورونني واهمة.

قال في ارتياح:

- لهذا بالذات اخترت ذلك الزي الأسود، ذا القناع.

ابتسمت في حنان، وهي تتأمل ملامحه الوسيمة مرة أخرى، قبل أن تسأله في خفوت:

- حسنًا.. ما خطوتك التالية؟

أجابها في حزمٍ:

- لقد واجهت اليوم (نعمان والي)، وتحديته على نحو سافر صريح، وهو يعلم الآن أنَّ رجلًا مقنعًا يسعى خلفه، وأنَّ شعار هذا الرجل هو (العقرب)، وسيربكه هذا كثيرًا، خاصة وأنَّ المعركة هذه المرة ستكون أشبه بحرب عصابات، لا مجال فيها لثغرات القانون، التي ينفذ منها دومًا، ولا فائدة لحصانته القانونية الخاصة.

قالت في تشفٍّ:

- إنَّك لم تجب سؤالي بعد.

واصل في هدوء، وكأنَّه لم يشعر بمقاطعتها:

- وهناك مبدأ تعلمته في حلبة الملاكمة، ألا وهو أنَّ أفضل وسيلة للنصر، هي إنهاك الخصم أولًا، قبل توجيه الضربة القاضية إليه، وهذا ما سنفعله مع (نعمان)، فسأحيل حياته إلى جحيم، قبل أن يتلقى اللسعة الأخيرة..

وصمت لحظة، ثم أضاف في صوت حمل قوته وصلابته وحزمه:

- لسعة (العقرب)..

***

-٦-

حلبة النزال..

على الرغم من تلك الابتسامة الدبلوماسية، التي لم تفارق شفتي (نعمان والي) حتى نهاية الحفل، فعروقه كانت تنتفض طيلة الوقت في غضبٍ وتوترٍ، وعقله لم يهدأ عن التفكير لحظة واحدة.

ومع نهاية الحفل، وانصراف المدعوين، مال نحو الرجل، الذي تقاضى منه رشوة الانتخابات، وقال في صرامة:

انتظر يا (فؤاد).. أريدك وحدك..

شحب وجه (فؤاد) في شدة، وإن لم يملك سوى أن يغمغم في صوت أشد شحوبًا من وجهه:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.. كما تأمر.

انتحى الرجل جانبًا، وهو يرتجف، حتى انتهى (نعمان) من

وداع ضيوفه، ثم التفت إليه، وحدجه بنظرة صارمة طويلة، قبل أن يقول:

- اتبعني.

قالها واتجه إلى حجرة مكتبه، فتبعه الرجل وساقاه تصطكان رعبًا، وخلفه (سيد) بقامته المديدة وجسده الضخم، المفتول، حتى وصل الموكب الصغير إلى حجرة مكتب (نعمان)، فأغلق (سيد) باب الحجرة في إحكام، ووقف أمامه عاقدًا ساعديه أمام صدره، في حين جلس (نعمان) خلف مكتبه، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه، وراح يتطلّع إلى (فؤاد) في برود صارم، فازدرد (فؤاد) لعابه في صعوبة، وغمغم والعرق البارد يغمر وجهه:

- هل هناك شيء ما يا (نعمان) بك.

ظلّ (نعمان) يحدجه بنفس النظرة الباردة الصارمة الصامتة لحظات، قبل أن يميل نحوه، قائلًا بغتة:

- ما رأيك الشخصي في (نعمان والي) يا (فؤاد)؟

ازدرد (فؤاد) لعابه في عسرٍ، وابتسم ابتسامة عصبية متوترة، وهو يغمغم:

- لماذا يا (نعمان) بك؟

هبَّ (نعمان) من مقعده بغتة، وضرب سطح مكتبه براحته في قوة، وهو يهتف في غضب:

- لأنني أكره أن يخدعني أحد.

غابت الدماء من وجه (فؤاد) تمامًا، وهو يقول في همس يفيض بالرعب:

- يخدعك؟

صاح (نعمان):

- نعم.. يا (فؤاد).. يخدعني.

انكمش (فؤاد) في مقعده، وراح يرتجف كعصفور مبتلٍّ في مهبِّ الريح، وتجمعت دمعة كبيرة في عينيه، وهو يقول:

- (نعمان) بك.. إنَّني..

قاطعه (نعمان) وقد هدأ فجأة:

- أتعلم كيف بلغت أنا كل ما بلغته يا (فؤاد)؟.. لقد فعلت لأنني أفكِّر.

وأشار إلى رأسه، هاتفًا في حِدَّةٍ:

- أفكِّر جيدًا..

وعاد صوته إلى هدوءه بغتة، وهو يتابع:

- ربما لا تدرك قيمة التفكير، ولكنه حقًّا شيء رائع، فأنا أدرس كل أمر يواجهني، وأمحصه بمنتهى الدقة، حتى يقتنع به عقلي.

ولوح بذراعه مردفًا:

- تمامًا كما فعلت الليلة.

تمتم (فؤاد)، وقد شارف الانهيار:

- (نعمان) بك.. صدقني.. إنَّني...

أوقفه (نعمان) بإشارة صارمة من يده، وهو يتابع:

- الليلة بدا لي كل ما حدث عجيبًا، مثيرًا للدهشة والحيرة، فلقد تحدَّثت إليَّ أنت حول الانتخابات القادمة، ودفعتني بحديثك إلى محاولة إتمام صفقة قذرة معك على الفور، وكان هذا يستتبع بالضرورة ذهابنا معًا إلى حجرة مكتبي، وفتحي خزانتي، وعندما فعلت، وجدت داخل الخزانة بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي، وفجأة ظهر في مكتب رجل مقنع، مُتَّشح بالسواد، هددني بتحطيم حياتي تمامًا، واختفى ذلك المقنع بغتة.. سيناريو رائع، يشبه كثيرًا أحد أفلام (والت ديزني) الشهيرة، ولكن....

بتر عبارته، وهو يميل نحو (فؤاد)، مستطردًا في صرامة:

- لم يقنع عقلي بهذا أبدًا.

وعاد يجلس خلف مكتبه، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه،

متابعًا:

- كان من المحتم أن يكون هناك تفسير منطقي لكل هذا، ولقد قضيت السهرة كلها أفكر، وأبحث عن تفسير للأحداث، وبعد كل هذا الجهد العقلي، وجدت تفسر الكثير من الأحداث، فالبطاقة يمكن دسها في رزمة أوراق نقدية، بحيث أضعها أنا بنفسي في الخزانة، دون أن أنتبه إلى ذلك، والمقنَّع يمكنه أن يتسلَّل إلى قصري ببطاقة دعوة مزيفة، وهو يخفي زيه أسفل حلة سهرة أنيقة، ويمكنه أيضًا أن يقفز مغادرًا المكان، قبل أن تصيبه رصاصة (سيد)، فينزع قناعه وقفازيه في سرعة، ويرتدي سترة أنيقة، ورباط عنق طريف، ويختفي بين المدعوين.. كل هذا ممكن ومنطقي.

وانعقد حاجباه في شدة، وهو يستطرد:

- فيما عدا نقطة واحدة.

بدا (فؤاد) أقرب ما يكون إلى الانهيار، وهو يغمغم:

- (نعمان) بك....

قاطعه (نعمان) في غضب:

- هذه النقطة هي المصادفة العجيبة، التي جعلتك تدفعني إلى حجرة المكتب، وإلى منحك النقود، في نفس التوقيت الذي ظهر فيه ذلك المقنع، الذي يظن نفسه بطلًا من أبطال روايات السينما الأمريكية.

ولوَّح بذراعيه، مستطردًا في حِدَّةٍ:

- وأنا رجل معقد في الواقع، لا أميل أبدًا إلى الإيمان بالمصادفات، حتى أنَّني أتساءل الآن، ماذا كان سيفعل هذا المقنع، لو أنَّني لم أذهب معك إلى حجرة المكتب؟.. كيف كان سيواجهني بهذه الصفاقة؟

انهار (فؤاد) تمامًا، وانحدرت دموعه على وجنتيه، وهو يهتف:

- الرحمة يا (نعمان) بك!! الرحمة!!

صاح به (نعمان) في ثورة:

- إذن فقد خنتني أيُّها القذر!!.. كيف جرؤت؟.. كم تقاضيت مقابل هذا؟

هتف (فؤاد) في انهيار:

- لم أتقاضى قرشًا واحدًا يا (نعمان) بك.. صدقني.. لقد عثر ذلك (العقرب) على أدلة تدينني، في واقعة رشوة سابقة، وهددني بتقديم الأدلة إلى النيابة، ما لم أدفعك إلى دخول مكتبك وسط الحفل، في توقيت محدَّد، ولم.. ولم أجد ضيرًا في ذلك.. أقسم لك أنَّ هذه كل الحقيقة.

انعقد حاجبا (سيد) في توتر، في حين انقضَّ (نعمان) على (فؤاد)، وجذبه من ياقة سترته في عنفٍ، لينتزعه من مقعده في قسوة، وهو يهتف به:

- وكيف يبدو هذا (العقرب)؟.. مَن هو؟.. مَن يشبه؟

هتف الرجل منهارًا:

- لستُ أدري.. أقسم لك لستُ أدري.. لقد فوجئت به في حجرة نومي، مرتديًا ذلك القناع المخيف، ولستُ أدري مَن

هو.. أقسم لك.

دفعه (نعمان) إلى مقعده مرة أخرى، وهو يهتف:

- أيُّها الحقير..

ثم اعتدل، مستطردًا في توتر بالغ، موجهًا حديثه إلى (سيد):

- يبدو أنَّنا نواجه خصمًا مختلفًا هذه المرة يا (سيد)، فمن الواضح أنَّ هذا (العقرب) يجيد التخطيط إلى درجة مخيفة، وأنَّه مثلي، لا يترك مجالًا في عمله للمصادفات، ثم أنَّه يمتاز بجرأة نادرة، حتى يواجهني في قصري على هذا النحو، وهو في الوقت ذاته ذكي، حيث أدرك أنَّ الحفل في القصر سيعيقني عن مواجهته كما ينبغي، وسيسمح له بالإفلات مني في سهولة، ثم أنَّه يملك عقلية غير تقليدية، تأثرت كثيرًا بأفلام الخيال، مما يدفعه إلى اتخاذ زي مثير كزيه هذا، وقناع غامض، أضف إلى هذا أنَّه - كما أعلن بنفسه - لا يتبع قانونًا ولا قواعد..

وصمت لحظة، ثم أضاف في حزم:

- إنَّنا نواجه خصمًا مخيفًا بحقٍّ هذه المرة.. نواجه عقربًا بشريًّا.

وصمت لحظة أخرى، قبل أن يضيف في توتر ملحوظ:

- ويا له من عقرب!..

***

تثاءب حارس مزرعة الثعالب، التي يمتلكها (نعمان والي) وهو يقول لزميله في ضجر:

- يا لها من مهمة سقيمة!! إنَّنا نقضي ليلنا كله لحراسة عددٍ من الثعالب القذرة الجائعة.

ابتسم زميله وهو يقول:

- هذه الثعالب القذرة يباع فراؤها بمئات الجنيهات يا رجل، ويقال إنَّ الجوع هو الذي يجعل فراء الثعالب أكثر جودة، ثم إنَّنا نتقاضى راتبًا ضخمًا لقاء هذا.

ابتسم الأول في ملل، وهو يقول:

- تصوَّر أنَّني لم أسمع في حياتي كلها عن مزارع الثعالب هذه، قبل أن ألتحق بالعمل في خدمة (نعمان والي) هذا، وحتى بعد أن عملت بها، ما زلت أشعر بالدهشة لوجودها في (مصر).

هزَّ زميله كتفيه، وقال:

- إنها ليست الأولى من نوعها في (مصر)، ثم إنَّك مع (نعمان والي) تلتقي دومًا بالجديد، فهو يمتلك العديد من المنشآت: مزرعة الثعالب هذه، ومزرعة ضخمة للدواجن، وشركة هندسية كبرى للمقاولات، وملهى ليلي.

هتف الأول ذاهلًا:

- ملهى ليلي؟!.. هل يمتلك (نعمان والي) ملهى ليليًّا؟

ابتسم زميله ابتسامة العالم ببواطن الأمور، وقال:

- إنَّه يمتلكه فعليًّا، ولكن الملهى مسجل باسم (سيد)،

الرجل الأول بعده.

هزَّ الأول رأسه، مغمغمًا:

- عجيب هو (نعمان) هذا.. إنَّه..

بتر عبارته بغتة، على نحو أثار دهشة زميله، فاعتدل يسأله:

- ماذا هناك؟

أشار إلى أضواء سيارة قريبة، وهو يقول:

- هناك سيارة توقفت إلى جوار سور المزرعة.

ابتسم زميله وهو يقول:

- وماذا في هذا؟.. المزرعة مقامة على الطريق مباشرة، ثم مَن يفكر في سرقة الثعالب؟!

قال الأول في صرامة:

- من يدري؟

ثم أمسك مسدسه، مستطردًا:

- سأتحرى الأمر.

هزَّ زميله كتفيه، مغمغمًا:

- كما يحلو لك.. سأبقى أنا هنا.

- استرخى في مقعده يراقب زميله، الذي غادر بوابة المزرعة، واتجه نحو سيارة النقل الضخمة، ذات الصندوق الخلفي المغلق، وهو يضع كفه فوق عينيه، متلاشيًا ضوء مصباحي السيارة المبهر، هاتفًا:

- هل لديك مشكلة أيُّها السائق؟

أتاه صوت أنثوي يقول:

- بل عدة مشاكل أيُّها الزميل.

انتبهت حواس الحارس كلها، مع سماع الصوت الأنثوي، وقال في دهشة:

- أأنت امرأة؟

شاهد مع الضوء المبهر ظلَّ أنثى تغادر كابينة قيادة السيارة الضخمة، وسمع صوتها تقول في لهجة أقرب إلى السخرية:

- يقولون سيدة أيُّها الوقح.

لم يدر لماذا رفع مسدسه، وهو يهتف في دهشة:

- ماذا؟

فجأة تحركت قدم أنثى في مرونة أنيقة، وركلت مسدسه في قوة، فأطاحت به بعيدًا، ثم عادت إلى موقعها، وهو يتراجع هاتفًا:

- مَن أنتِ؟

لم يكد يتم عبارته، حتى قفزت قدمها الأخرى إلى فكِّه، لتخرسه تمامًا، فهوى عند قدميها فاقدًا الوعي، فهب زميله من مكانه، وهتف في حِدَّةٍ:

- اللعنة!.. ما هذا؟

اندفع خارج كشك الحراسة، وهو يشهر مسدسه، صائحًا في لهجة صارمة حازمة:

- قفي وإلا....

قبل أن يتم عبارته، قفز جسد متشح بالسواد من فوق صندوق سيارة النقل الضخمة، واستقر على قدميه أمامه تمامًا..

وتراجع الحارس في دهشة، وهو يرى أمامه رجلًا مقنعًا، أطلّت صرامة الدنيا كلها من عينيه، ورفع فوهة مسدسه إليه في سرعة وخوف، ولكن المقنع تحرَّك في سرعة مدهشة، فأحنى رأسه، ورفع ساعده الأيسر ليدفع ذراع الحارس، الممسكة بالمسدس، إلى أعلى، ثم انقضَّت قبضته اليمنى على فك الحارس كالقنبلة.

وتراجع الحارس في عنف، إثر اللكمة، وقبل أن يعتدل مرة أخرى، غاصت قدم المقنع في معدته، وقفزت قبضته اليسرى تحسم الصراع بلكمة ساحقة..

وسقط الحارس الثاني فاقدًا الوعي..

وهتفت (غادة):

- رائع.. من الواضح أنَّك قد استفدتَ كثيرًا من عملك بالشرطة.

قال (العقرب) في هدوء، وهو يجذب الحارس إلى كشك الحراسة:

- هل تحتاجين إلى مكبر صوتي لإعلان هذا؟

ضحكت مغمغمة:

- ربما فيما بعد.

ثم جذبت الحارس الآخر إلى الكشك، وهي تستطرد:

- لقد فاجأتني بهذه العملية في الواقع، فلقد تصوَّرت أنَّنا سنخلد للنوم، بعد عملية الحفل.

قال في هدوء:

- أفضل وسيلة لتشكيل الحديد، هي طرقه ساخنًا، ثم إنَّ لعبة الليلة تروق لي كثيرًا، وستكون أفضل وسيلة للإعلان عن (العقرب).

راحا يقيدان الحارسين، ويُكمِّمان فمهما في إحكام، ثم أخرج هو من جيبه واحدة من بطاقاته، وثبتها في ياقة أحد الحارسين، وهو يقول في فخر:

- (العقرب) فعل هذا.

ثم التفت إلى زميلته، مستطردًا:

- هيا بنا.. فسيحتاج منا الجزء الأول من اللعبة بعض الوقت.

واتجه نحو سيارة النقل الضخمة في هدوء.

وكان قد اختار أول حلبة لنزاله مع (نعمان والي)..

وأول إعلان لمولد سيف العدالة المسلَّط على رءوس المجرمين..

العقرب..

***

-٧-

إعلان ميلاد..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا بعد، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراش (نعمان والي) مباشرة، فنهض هذا الأخير هاتفًا في حنق:

- اللعنة!! إنَّني لم أحصل على قدرٍ كافٍ من النوم بعد.

ألقى نظرة محنقة على ساعة معصمه، ثم رفع سماعة الهاتف، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- أتعشَّم أن يكون سبب اتصالك، في مثل هذه الساعة، مناسبًا، وإلا فإنَّني أقسم أن...

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه، وهو يقول في توتر:

- مَن؟!.. لماذا تتصلون بي في هذا الوقت المبكر؟

قفز من فراشه، وقفز حاجباه إلى أعلى، في مزيج من الدهشة والذعر والاستنكار، وبدا وكأنهما سيتجاوزان فروة رأسه، من شدة ارتفاعهما، وهو يصرخ:

- كيف؟!.. اللعنة!! كيف حدث هذا؟

استمع لحظات، والغيظ يملأ كل خلجة من خلجاته، قبل أن يعاود الصراخ:

- (العقرب)؟!.. (العقرب) مرة أخرى؟

ثم ارتفع حاجباه مرة ثانية، وهو يواصل صراخه:

- أيُّها الأغبياء.. كيف يفعل بكم هذا.. أيُّها الحمقى؟

واتسعت عيناه في ذعر، مستطردًا:

- أأبلغتم الشرطة؟!.. ولماذا فعلتم؟!.. مهما كان الأمر، كان من الضروري استشارتي أولًا.

وأعاد سماعة الهاتف في قوة كادت تحطمها، وهو يقفز من

فراشه، هاتفًا في سخطٍ:

- يا للأغبياء!! يا للأوغاد!! يا للحمقى!!

ارتدى ثيابه في عجلة شديدة، ثم اندفع خارج حجرة نومه، وصرخ في رئيس خدمه، الذي استيقظ قلقًا لحركة سيده، في هذه الساعة المبكرة من الصباح:

- اتصل بـ(سيد)، واطلب منه أن يحضر إلى هنا على الفور، وأيقظ ذلك السائق الكسول، واطلب منه إعداد السيارة الكبيرة.

أشعل واحدة من سجائره، وراح ينفث دخانها في عصبية وهو يردّد محنقًا:

- ماذا يريد مني هذا المقنع اللعين؟.. ماذا يبتغي مما يفعله بي؟

لم يكن ينتهي من سيجارته، حتى وصل (سيد) الذي يقيم بجناح ملحق بالقصر، وهو يقول في قلق وتوتر:

- ماذا حدث أيُّها الزعيم؟.. لماذا استيقظت مبكرًا هكذا؟

صرخ به (نعمان):

- سأقطع لسانك إذا ما خاطبتني بذلك اللقب مرة أخرى.

تراجع (سيد)، مغمغمًا:

- معذرة يا (نعمان) بك.. معذرة.

هتف (نعمان) في حنق:

- هيا بنا.. ينبغي أن ننطلق على الفور إلى مزرعة الدواجن.

سأله وهو يتبعه في قلق:

- لماذا؟.. ماذا حدث هناك؟

قال (نعمان) في سخطٍ، وهو يقفز إلى المقعد الخلفي لسيارته الفاخرة، التي أعدَّها سائقه الخاص للانطلاق على الفور:

- لقد ضرب (العقرب) ضربته الثانية هناك.

لم يكد (سيد) يقفز إلى جواره، حتى انطلقت بهما السيارة، وهو يهتف في ذهول:

- ضرب ماذا؟!.. وماذا فعل؟.. هل قتل الدجاج كله؟

ضرب (نعمان) فخذه براحته في ثورة، وهو يقول:

- بل.. لقد نفَّذ ضربة مزدوجة، فذهب بسيارة نقل ضخمة إلى مزرعة الثعالب، وهزم حارسيها، وحمل كل الثعالب الجائعة في صندوق السيارة الضخم، ثم تسلل إلى مزرعة الدواجن، وفتح كل الأقفاص، وبعدها اقتحم المزرعة بسيارة النقل الضخمة، وأطلق سراح الثعالب، وتركها تقتنص الدجاجات في شراهة.

استمع إليه (سيد)، وهو يفغر فاه ذهولًا، قبل أن يتمتم:

- يا له من رجل!!

ثم أضاف في غضب:

- إنَّني لم أتوقع أبدًا أن يضرب ضربته الثانية في الليلة ذاتها.

قال (نعمان)، وهو يعض نواجذه غضبًا وغيظًا:

- ولا أنا.. ولكن من الواضح أنَّ هذا (العقرب) أذكى منا جميعًا.

ثم أضاف، وهو يلوِّح بذراعه في سخط:

- والأدهى أنَّ حراس مزرعة الدواجن الأغبياء قد أبلغوا رجال الشرطة، ولم يعد بإمكاننا إخفاء أمر هذا اللعين.

عقد (سيد) حاجبيه مفكرًا، وهو يقول:

- وماذا في هذا يا (نعمان) بك؟.. إنَّني أجد هذا أفضل كثيرًا، فعندما نتحالف مع الشرطة ستزداد فرصة الإيقاع بهذا المتجبر كثيرًا، فمن المستحيل أن ينجح رجل واحد في هزيمتنا نحن والشرطة معًا.

تطلَّع إليه (نعمان) في صمت لحظات، ثم هزَّ رأسه مغمغمًا:

- نعم.. ربما كان هذا أفضل؛ لقطع ذنب (العقرب).

ثم ضم قبضته في شدة، مستطردًا:

- وبعدها سأسحقه بنفسي.. سأسحقه سحقًا..

***

عقد العقيد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يدير عينيه في أرجاء مزرعة (نعمان والي) للدواجن، قبل أن يقول في حِدَّةٍ:

- أي شيطان فعل هذا؟.. لقد أطلق الثعالب الشرهة على الدجاج، وترك قانون الطبيعة يعمل.

ابتسم اللواء (حلمي)، وهو يقول في هدوء:

- إنها فكرة لا تخلو من الطرافة على أية حال.

تطلَّع إليه (مجدي) في دهشة واستنكار، فأضاف في رصانة:

- ولكنها جريمة على كل الأحوال.

ثم التفت إلى رئيس حراس مزرعة الدواجن، يسأله:

- كيف بدأ كل هذا؟

قال كبير الحراس في انفعالٍ واضحٍ:

- لقد حدث كل شيء في سرعة، فلقد كنا نستبدل نوبة حراسة ليلية، عندما ارتفعت أصوات الدجاج، كما لو أنَّ أقفاصها قد فتحت، وهذه الأقفاص تفتح بوسيلة إليكترونية، بحيث يكفي الضغط على زر واحد لفتحها كلها.. المهم أنَّ صوتها جعلني أطلب من اثنين من رجالنا تفقُّد الأمر، وعندما ذهبنا إلى حيث الأقفاص، فوجئنا برجل مقنع، متشح بالسواد يقفز متجاوزًا سور المزرعة إلى الخارج.

عقد العقيد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول في استنكار:

- مُقنَّع مُتَّشح بالسواد؟!!

أشار إليه اللواء (حلمي) أن يصمت، وهو يسأل كبير الحراس:

- ألم يطلق عليه رجالُك النار؟

قال الرجل منفعلًا:

- لقد أخرجا مسدسيهما بالفعل، وقبل أن يطلق أحدهما رصاصة واحدة، اقتحمت سيارة النقل الضخمة بوابة المزرعة، وانفتح صندوقها الخلفي، واندفع منه مئات الثعالب الشرهة.

وارتجف جسده، وهو يستعيد ذكرى الموقف، قبل أن يستطرد في شحوب:

- وكان الموقف رهيبًا، فقد راحت الثعالب تعدو في كل الاتجاهات، مما أصابنا بالرعب، فرحنا نطلق النيران عليها، ولكن الجزء الأكبر منها انطلق نحو أقفاص الدجاج، وراح يلتهم الدواجن في شراهة.

وانتقض جسده مرة أخرى، قبل أن يردف:

- كان موقفًا رهيبًا بحق.

سأله اللواء (حلمي) في اهتمام:

- وماذا فعل المقنع؟

قال الرجل في ضيق؟

- لحق بسيارة النقل، التي تقودها زميلته، وانطلقا مبتعدين، دون أن ننجح في ملاحقتهما، بسبب الاضطراب الهائل، الذي أصاب المكان.

هتف العقيد (مجدي) في دهشة:

- زميلته؟!.. ومَن أدراك أنَّ مَن كان يقود السيارة الضخمة فتاة؟

تطلَّع إليه الرجل في حيرة، وهو يقول:

- إنَّني لم أرها في الواقع، ولكن زميلينا في مزرعة الثعالب قالا إنها فتاة.

قال اللواء (حلمي):

- حسنًا.. إنَّني أفهم ذلك، فلقد أخبرنا زميلاك في مزرعة الثعالب ما لديهما، بعد أن أطلقنا سراحهما، ولقد وجدنا في ياقة أحدهما بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي.

هتف كبير الحراس:

- يا إلهي!!.. لقد وجدنا مثلها مثبتة عند زر التحكم في فتح أقفاص الدجاج.

قال العقيد (مجدي) في حِدَّةٍ:

- أية سخافة هذه؟.. مَن ذلك المجرم التافه، الذي يحاول تقليد (أرسين لوبين)؟

غمغم اللواء (حلمي):

- ربما هو ليس تافهًا كما تتصوَّر يا رجل.

ثم شرد بذهنه، مستطردًا في خفوت، وكأنَّما يُحدِّث نفسه:

- رجل وفتاة!!.. يا للعجب!

قال (مجدي) في ضيق:

- هذا الأمر يبدو لي سخيفًا.

أشار (حلمي) إلى نهاية مزرعة الدواجن، قائلًا:

- يبدو أنَّك ستجد من يشاركك في هذا الشعور، فلقد وصل (نعمان والي)..

غادر (نعمان والي) سيارته في هذه اللحظة، وراح يتلفَّت حوله كالمجنون، وهو يردِّد في غضب هائل:

- لقد أطلق الحراس الأغبياء النار على ثعالبي.. لقد أفسدوا الفراء الثمن.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- يمكنك ترحيل هذا إلى بند الخسائر يا سيد (نعمان).

هتف (نعمان) محنقًا:

- بند الخسائر؟!.. لا يا سيادة اللواء.. إنَّني رجل أومن بنظرية الثأر، ولن يهدأ لي بال حتى توقعوا بذلك المجرم اللعين، الذي حطَّم مزرعتين من مزارعي في ليلة واحدة.

قال اللواء (حلمي) دون أن يفارقه هدوؤه:

- ثق أنَّنا سنبذل أقصى جهدنا يا سيد (نعمان)، ولكن قل لي أولًا: ألديك فكرة عمَّن فعل بك هذا؟

فكَّر (نعمان) لحظة في إخفاء ما لديه، إلا أنَّه لم يلبث أن اندفع قائلًا:

- بالتأكيد.. إنَّه (العقرب).

عقد (مجدي) حاجبيه في استنكار، هاتفًا:

- مَن؟!

أدار (نعمان) عينيه إليه، قائلًا في حِدَّةٍ:

- (العقرب).. إنَّه شاب وقحٌ مقنَّعٌ، يترك خلفه دومًا بطاقة، تحمل رسمًا لعقرب من الذهب.

ردَّد (مجدي) في استهجان:

- مُقنَّع وعقارب ذهبية؟!.. أي هراء هذا؟!.. إنَّنا في (مصر)، ولسنا في أحد أفلام المغامرات الهزلية الأمريكية!!

أشار إليه اللواء (حلمي) أن يصمت، ثم سأل (نعمان) في اهتمام:

- وما الذي يجعلك واثقًا من أمر (العقرب) إلى هذا الحد؟

أجابه في حِدَّةٍ:

- لأنَّه هاجمني في قصرى، وترك لي بطاقته.

ارتفع حاجبا (مجدي) في دهشة، وهو يهتف:

- في قصرك؟!

أما اللواء (حلمي)، فقد ابتسم، وكأنَّما راق له الأمر، وهو يقول بنفس الهدوء:

- في قصرك، ووسط رجالك وأمنك؟!.. يا له من جريء!

هتف (نعمان) في حنق:

- إنَّه وقحٌ، ولقد وقف على نافذة حجرة مكتبي، يحدثني عن الفارق بين العدالة والقانون.

ابتسم اللواء (حلمي) أكثر، وسأله:

- قل لي يا سيد (نعمان).. هل يمكنك أن تصف ذلك الشاب؟

قال (نعمان) في عصبية:

- إنَّه نحيل، ممشوق القوام، طويل، ولقد كان يرتدي قناعًا أسود اللون وزوجًا من القفازات السوداء، و...

قاطعه اللواء (حلمي) في اهتمام:

- هل يمكنك أن تعرفه؟

حدَّق (نعمان) في وجهه بدهشة، قبل أن يلوح بكفه، هاتفًا في حنق:

- قلت لك إنَّه كان يخفي وجهه بقناع أسود.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- إذن فأنت تعجز عن التعرف إليه.

التفت العقيد (مجدي) إلى رئيسه في دهشة، فقد خُيِّل إليه أنَّه قد نطق عبارته الأخيرة في ارتياح، وإن لم ينتبه (نعمان) إلى هذا، وهو يهتف محنقًا:

- بالطبع.

ابتسم اللواء (حلمي) في ارتياح، وهو يقول:

- حسنًا يا سيد (نعمان)، سأرسل في طلب رجل المعمل الجنائي، لفحص المكان، وسأرسل إليهم البطاقات، للبحث عن أية بصمات فوقها، كما سأقوم بتوزيع نشرة بأوصاف المقنع.

غمغم (نعمان) في سخط:

- لستُ أظنُّ ذلك يفيدنا شيئًا.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- مَن يدري يا سيد (نعمان)؟ مَن يدري؟

وعندما اتجه إلى سيارة الشرطة، كان يضيف في همس:

- حان الوقت لتتجرَّع من نفس الكأس.

سأله (مجدي)، وسيارة الشرطة تنطلق بهما مبتعدة:

- ألا يبدو لك كل هذا مثيرًا للدهشة والحيرة يا سيدي؟!..

شاب مقنع، وفتاة، وبطاقات تحمل عقربًا ذهبيًّا.. هذه الأمور لم تحدث أبدًا في (مصر).

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- لكل شيء بداية يا ولدي، ومن الواضح أنَّنا نشهد لحظة ميلاد..

واتسعت ابتسامته، وهو يضيف:

- ميلاد العقرب..

***

-٨-

بلا كلل..

في الوقت الذي وقف فيه (نعمان) يَرْغَى ويزيد، وسط مزرعة الدواجن، توقفت سيارة من طراز قديم، أمام إسطبله الخاص، على بُعد كيلو مترات قليلة من (القاهرة)، وهبط منها كهل أشيب الشعر، يرتدي منظارًا طبيًا كبيرًا، وقد أطلق لحيته الشيباء، وتبعته ممرضة حسناء، في زيها الأبيض التقليدي، واتجه الاثنان نحو حارس الإسطبل، وقال الكهل في لهجة تملي الكثير من نفاد الصبر:

- أهذا إسطبل (نعمان والي)؟

أجابه حارس الإسطبل في حذرٍ:

- نعم.. هذا إسطبل (نعمان بك والي)، ماذا تريدان؟

قال الكهل في ضيق:

- أنا الطبيب البيطري الجديد، هلا أفسحتَ لنا الطريق لنفحص ذلك الجواد، الذي سيشارك في سباق اليوم.

عقد الحارس حاجبيه، وهو يقول:

- مستحيل!.. إنَّني أجهل مَن أنت، فهذه الجياد يرعاها الدكتور (بدران)، وهذا الجواد بالذات يمنع سيدي اقتراب أي كائن منه، في أيام السباق بالذات، فهو جواده المفضل.

قال الكهل في غضب:

- هل تتهمني بالكذب أيُّها الوقح؟.. إنَّني الطبيب البيطري الجديد، فلقد ترك (بدران) العمل أمس، ورئيسك أمرني شخصيًا بفحص الجواد، وهذه ورقة موقعة باسمه.

ألقى الحارس نظرة على توقيع (نعمان)، ثم قال في حزم:

- ولكن السيد لم يرسل أية ورقة من قبل.. إنَّه يتحدث عبر الهاتف عادة.

قال الكهل في حنق:

- هاتفكم معطل، وليس لدي الوقت الكافي لهذا العبث.. هل أفحص الجواد قبل السباق، أم تتحمل أنت المسئولية أمام رئيسك؟

تردَّد الحارس لحظات، وعاد يلقي نظرة على توقيع (نعمان)، ثم قال وهو يدسُّ الورقة في جيبه:

- لا بأس.. يمكنك فحصه.

ثم استدار في حزمٍ:

- ولكنني سأحتفظ بالأمر المكتوب.

ابتسمت الممرضة، وقالت:

- بالطبع يا فتى.. احتفظ به.

هتف الحارس بغتة:

- مهلًا لحظة.

والتقط سماعة الهاتف، ووضعها فوق أذنه لحظات، ثم أعادها إلى موضعها مغمغمًا:

- إنَّه معطَّل بالفعل.. يمكنكما فحص الجواد.

ابتسم الكهل قائلًا:

- شكرًا يا ولدي.. لن تندم على قرارك هذا.. لن تندم أبدًا..

***

عاد (نعمان) إلى قصره في التاسعة والنصف، والغضب يعصف بنفسه، وراح يسبُّ ساخطًا طيلة الوقت، وهو يقول لـ(سيد):

- يبدو أنَّها لن تكون أبدًا معركة هينة يا (سيد)، ولكم يحنقني هذا، أنا الذي قاتلت على كل الجبهات، ولم أخسر معركة واحدة قط.

غمغم (سيد):

- هذه المعركة تختلف يا سيدي.

هتف محنقًا:

- بالتأكيد، فنحن لا نقاتل جهازًا قانونيًّا، برع محامي في مراوغته، والإفلات منه.. إنَّنا نواجه فردًا واحدًا، يبغضني أشد البغض، ولا يتبع أية قواعد معروفة.

أضاف (سيد):

- ثم إنَّه يتحرك في سرعة مربكة.

زفر (نعمان) في قوة، وهو يقول:

- وهذا ما يقلقني.

واستطرد وهو يدور حول مكتبه في توتر:

- ترى أين سيضرب ضربته القادمة؟.. أين؟

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين الهاتف، فاختطف

سماعته في سرعة، ووضعها على أذنه قائلًا:

هنا (نعمان والي)، مَن المتحدث؟

ارتجف جسده في قوة، حينما جاءه الجواب بكلمة واحدة:

- (العقرب)..

عجز لنصف دقيقة عن التفوه بحرف واحد، ثم هتف في صوتٍ متحشرج، يموج بالغضب والانفعال:

- ماذا تريد؟

أتاه الصوت الصارم القوي يقول:

- لا شيء.. أردت أن أخبرك أنَّني قد قمت بزيارة لجوادك المفضل (رهوان)، الذي يستعد لخوض سباق اليوم.

اتسعت عينا (نعمان)، واشتدت قبضته على سماعة الهاتف، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- ماذا فعلت به؟

أجابه الصوت الصارم:

- اطمئن.. مجرد منوِّم قوي.. لن يشارك جوادك العزيز في سباق اليوم حتمًا، ولكنني علقت في أذنه بطاقتي.

صرخ (نعمان):

- أيُّها الوغد.. أيُّها الحقير.

أجابه صوت حازم، تتجمَّد له الدماء في العروق:

- أنت هو الوغد الحقير يا (نعمان)، وما هي إلا البداية فحسب.. لقد سبق أن أخبرتك أنَّه لن يهدأ لي بال حتى أدمرك تدميرًا.. هل تذكر؟

أعاد (نعمان) سماعة الهاتف في عنف، وقد احتقن وجهه في شدة، فسأله (سيد) في قلق:

- أكان هو؟

أجابه في توتر واضح:

- نعم.. كان هو.

ثم لوح بيده مستطردًا في ثورة:

- لقد دسّ منومًا قويًّا لـ(رهوان).

ارتفع حاجبا (سيد) في دهشة، وهو يهتف:

- يا إلهي!!.. وكيف توصّل إليه؟

أشعل (نعمان) سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- من الواضح أنَّه يعلم كل شيء عني.

ونفث دخان السيجارة في قوة، وهو يستطرد:

- وأنَّه يجيد اللعبة.

هتف (سيد) في غضب:

- وهل سنتركه يلعبها حتى النهاية؟

عقد (نعمان) حاجبيه في قوة، وبدا من الواضح أنَّه يفكر في عمق وهو يقول:

- من الواضح أنَّه يسعى إلى إنهاكي بضربات سريعة متتالية، قبل أن يضرب ضربته الكبرى، ومن الواضح أيضًا أنَّ هذه الضربات السريعة تتجه كلها إلى ممتلكاتي المعروفة.

سأله (سيد) في اهتمام:

- وماذا يمكننا أن نفعل؟

جذب (نعمان) نفسًا قويًّا من سيجارته، وتألقت عيناه في شراسة، وهو يجيب:

- نستعد للضربة القادمة بالتأكيد.

ثم التفت إلى (سيد)، مستطردًا في حماس:

- مر رجالنا بتشديد الحراسة على كل ممتلكاتي، وأخبرهم أنَّني سأمنح كل من يعمل بإذني بطاقة خاصة، عليهم أن يطالبوا الجميع بإبرازها، على ألا يشاع الأمر، وفي هذه الحالة سيكون (العقرب) وحده هو الذي لا يحمل البطاقة الخاصة؛ لأنَّه يجهل وجودها.

قال (سيد) بنفس الحماس:

- هل أطلب منهم إلقاء القبض عليه، فور كشفهم أمره؟

أجابه (نعمان) في حزم:

- ألم تسمع ما قاله (العقرب) بنفسه يا رجل؟!.. إنَّنا لا نتبع قواعد القانون هذه المرة، ولهذا لن يطالب رجالنا بإلقاء القبض عليه.

وعادت عيناه تتألقان بنفس الشراسة، وهو يستطرد:

- بل بقتله.. قتله على الفور..

***

-٩-

الشك..

تهللت أسارير (غادة)، وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة ترحاب، عندما شاهدت اللواء (حلمي) يخطو داخل مكتب المحاماة، الذي يحمل اسم (نديم فوزي)، وأسرعت إليه هاتفة:

- مرحبًا يا سيادة اللواء، أي ريح طيبة أرسلتك إلينا؟

ابتسم اللواء (حلمي) مدير المباحث الجنائية، تلك الابتسامة الحنون، التي تحمل الكثير من ملامح الأبوة في أعماقه، وهو يقول:

- بل قولي أية نسمة رقيقة يا بنيتي؟ فأنت تشبهينها كثيرًا.

أطلقت ضحكة مرحة صافية، وهي تقول:

- أيمكنني اعتبار هذا نوعًا من الغزل؟

ابتسم أكثر وهو يقول:

- ولم لا؟.. إنَّني لم أبلغ من الكبر عتيًّا بعد، ثم إنَّك لم تعودي تعملين تحت إمرتي.

ضحكت قائلة:

- لعل هذا أفضل حسنات الاستقالة.

تلفت بعينيه في أرجاء المكتب في اهتمام، وهو يسألها:

- أين (نديم)؟

أشارت إلى باب يحمل اسم (نديم فوزي)، وهي تقول:

- في حجرته بالطبع.

ابتسم في حنان وهو يقول:

- هذا من حسن الحظ، فربما قتلته الغيرة، لو شاهدك تضاحكينني هكذا.

سرت نبرة ضيق في صوتها، على الرغم من ابتسامتها العريضة، وهي تقول:

- اطمئن، هذا الأمر لا يشغل باله أبدًا.

سألها بغتة:

- أبسبب (العقرب)؟

كان أسلوبه بوليسيًّا بحتًا، إلا أنَّه - للأسف - كان يواجه محترفة باردة الأعصاب، لم تختلج في رأسها شعرة واحدة، وهي تحافظ على ابتسامتها، قائلة:

- أي عقرب؟!

تنهَّد قائلًا:

- لا عليكِ.. إنَّما هي عبارة فرَّت من لساني دون قصد.

ثم اتَّجه نحو حجرة مكتب (نديم)، مستطردًا:

- أمن الضروري أن يحصل المرء على موعد سابق لمقابلته؟

قالت في هدوء:

- ليس بالنسبة إليك يا سيدي.

دفع اللواء (حلمي) الباب، وتطلَّع إلى (نديم)، قائلًا:

- صباح الخير يا ولدي.

لوهلة خُيِّل إليه أنَّ (نديم) لم ولن يسمعه، فقد كان شاردًا،

يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ويتطلَّع إلى سقف الحجرة، إلا أنَّه لم يلبث أن أدار عينيه إليه، وقال في ترحاب.

- مرحبًا يا سيادة اللواء.

لم يبتسم كالمعتاد، وإن حملت عيناه كل مشاعره، وهو ينهض ليصافح رئيسه السابق، مستطردًا:

- كم تسعدني زيارتك لمكتبي.

صافحه اللواء (حلمي) في هدوءٍ، وهو يتفرَّس في ملامحه، على نحو غير عادي، ثم جلس على مقعد مقابل للمكتب، وهو يقول:

- بل تسعدني أنا رؤيتك يا ولدي.

جلس (نديم) على مقعد مواجه له، وهو يقول:

- هل أعجبك مكتبي يا سيدي؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا، وهو يقول:

- إنَّه جيد التأثيث، وشديد الأناقة، ولكنه يخلو من العملاء.

أجابه (نديم) برصانته المعهودة:

- سيأتون فيما بعد يا سيدي.

ران عليهما الصمت لحظات، ثم بدا وكأنَّ اللواء (حلمي) قد قررَّ عدم إضاعة الوقت، فقد سأله بغتة:

- قل لي يا (نديم)، ما الذي تعرفه عن (العقرب)؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- أعرف أنَّه حشرة سامة، من القشريات، ينتشر في المناطق الجبلية والصحراوية، و......

قاطعه وهو يميل نحوه في حِدَّةٍ:



- لستُ أقصد هذا.

سأله (نديم) في بساطة متناهية:

- ماذا تقصد يا سيدي؟

تطلَّع اللواء (حلمي) إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- إنَّني أقصد (العقرب).

قال (نديم) في براءة:

- أتوجد عقارب أخرى، غير التي نعرفها؟

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، وقال دون أن تفارق عيناه وجه (نديم) الجامد:

- بالتأكيد.. هناك عقرب بشري، يسعى خلف (نعمان والي)، خصمك اللدود، وهذا (العقرب) البشري شاب متشح بالسواد، يرتدي على وجهه قناعًا أسود اللون، على غرار أبطال الروايات الهزلية، ويرتدي قفازين من اللون نفسه، ويترك خلفه دومًا بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي..

صمت لحظة، ثم أضاف في حزم:

- وتصحبه فتاة.

قال (نديم) في هدوء:

- أهو فيلم سينمائي هذا يا سيدي؟

هتف اللواء (حلمي)، وقد نفد صبره:

- بل هو حقيقة يا (نديم).. حقيقة تعلمها أنت جيدًا.

أجابه (نديم) بنفس الهدوء:

- لستُ أعلم شيئًا عن هذا يا سيدي.

ثم مال نحوه مستطردًا:

- ما رأيك في كوب من عصير الليمون؟.. أظنك تحتاج إليه، فأعصابك ثائرة للغاية.

حدَّق اللواء (حلمي) في عينيه لحظات، ثم تراجع مغمغمًا:

- نعم.. أظنني أحتاج إليه بالفعل.

ضغط (نديم) زرًّا يجاور مكتبه، فظهر ساعي المكتب الخاص عند باب الحجرة، وأمره (نديم) بإحضار كوبين من عصير الليمون، ولم يكد الساعي يغلق الباب خلفه، بعد إحضار كوبي العصير، حتى قال اللواء (حلمي)، وقد هدأت أعصابه:

- أتعلم أنَّ (العقرب) هذا ينفِّذ سياستك يا (نديم)؟

سأله في هدوء:

- كيف يا سيدي؟

قال اللواء، وهو يتفرَّس في ملامحه جيدًا:

- إنَّه يسعى للعدالة، مخالفًا بذلك القانون.

قال (نديم):

- ومَن قال أنَّ هذه سياستي؟!.. إنَّني محامٍ، ومهنتي هي الدفاع عن القانون.

تمتم اللواء (حلمي) وقد أحنقه أن يتخذ الحديث هذا المسار:

- نعم.. أنت على حق.

وأشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى، مستطردًا:

- ولكن ذلك (العقرب) البشري يحطم كل منشآت (نعمان) بلا رحمة، وأظنه سيضرب ضربته القادمة في الملهى الليلي.

سأله (نديم):

- وهل يمتلك (نعمان والي) ملهى ليليًّا؟

أجابه اللواء (حلمي)، وهو يتحاشى النظر إلى عينيه:

- تحرياتنا تقول إنَّه يمتلكه، ولكنه يسجله رسميًّا باسم (سيد)، الرجل الأول في كل شركاته، ولقد أبلغنا أحد مرشدينا بأن إحدى قاعات الملهى الداخلية، تدار للعب القمار، على نحو غير مشروع.

واختلس نظرة إلى (نديم)، وكأنَّما يرغب في معرفة ردِّ فعله، قبل أن يعود فيشيح بوجهه، مستطردًا:

- أتعلم كم من الأموال يخسرها الأغبياء، على موائد القمار؟.. إنَّه مبلغ باهظ بالفعل.

واختلس النظر إلى وجه (نديم) مرة أخرى، قبل أن يضيف:

- إنَّه يكفي لإعالة عشرة ملاجئ للأيتام، لمدة عام على الأقل.

ظلَّ (نديم) صامتًا، يتطلَّع إليه، وكأنَّما يحاول أن يستشف ما يدور في عقل رئيسه السابق بدوره، فنهض اللواء (حلمي)، قائلًا:

- حسنًا.. ألف مبروك على المكتب، وسأنصرف أنا، فعليَّ بضعة أعمال يتعين إنجازها.

نهض (نديم) بدوره، وهو يقول:

- ألن تبقى قليلًا؟

أجابه وهو يتطلَّع إليه مليًّا:

- لا، فأنا أحتاج إلى بعض النوم، خاصة وأنَّه من المحتمل أن يتم استدعائي ليلًا، إذا ما قرر (العقرب) مهاجمة الملهى الليلي.

قال العبارة الأخيرة في نبرة بطيئة نسبيًا، إلا أنَّ ملامح (نديم) وصوته ظلًّا جامدين، وهو يقول:

- مَن يدري يا سيدي؟.. مَن يدري؟

لم يكد اللواء (حلمي) ينصرف، حتى اندفعت (غادة) إلى حجرة (نديم)، هاتفة:

- إنَّه يعلم بالأمر.. فليُقطع ذراعي إن لم يكن كذلك.

التفت إليها (نديم) وقال في هدوء:

- إذن فقد كنتِ تسترقين السمع كعادة كلِّ النساء!!

تجاهلت عبارته، وهي تستطرد في انفعال:

- هل لاحظت كيف كان يتحدث إليكَ؟.. لقد أدركتُ أنَّه يشك في أمرنا، منذ سألني بغتة عن (العقرب)، وكأنَّه ينوي الإيقاع بي.. إنَّه يعلم أنَّك (العقرب).

قال (نديم) في بساطة:

- ولكنه لا يملك دليلًا.. اطمئني.

هتفت في حنق:

- أتتحدث عن الدليل؟

وعلى الرغم من هدوء ملامحه الشديد، لمحت ضحكة ساخرة في عينيه، وهو يقول:

- بالطبع.. لقد حان دورنا لنتشبث بالقانون.. أليس كذلك؟

حدَّقت في وجهه لحظة في دهشة، ثم لم تلبث أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة، وهي تلقي جسدها على المقعد المقابل له، مغمغمة:

- ألا يقلقك الأمر؟

هزَّ رأسه نفيًا، وهو يقول:

- مطلقًا.

ثم مال نحوها، وتطلّع إلى عينيها الجميلتين مباشرة، مستطردًا:

- إنَّ كل ما يملكه اللواء (حلمي) هو مجرد شكوك، ورغبة في تأكيد الأمر نفسه، وإقناعنا بأنَّه يعرف مَن هو (العقرب)، وكل ما علينا هو أن نواصل التظاهر بعدم الفهم، وسينتهي كل شيء لصالحنا.

تطلعت إليه لحظات في صمت، ثم هدأ صورتها كثيرًا، وهي تقول:

- ولكنه كان يحاول أن يقودك إلى فخ، بحديثه عن الملهى الليلي، وقاعة القمار السرية.

قال في هدوء:

- أو أنَّه ينقل إلينا معلومة ما.

هتفت مستنكرة:

- ينقل إلينا معلومة؟!.. أية فكرة حمقاء تلك؟

قال هادئًا:

- ربما أنَّها ليست حمقاء إلى هذا الحد.

وأضاف وقد عاد إلى نظرته الشاردة:

- وهناك وسيلة بسيطة للتيقن من ذلك.

سألته في فضول ولهفة:

- كيف؟

أجابها وهو يواصل نظرته الشاردة:

- بأن نقبل التحدي.

خفق قلبها في عنفٍ وقلقٍ، قبل أن يلتفت بعينيه إليها، مضيفًا في حزم:

- وأن يضرب (العقرب) ضربته الليلة، في ملهى (نعمان والي) الليلي.

-١٠-

احتيال..

ليس من المألوف، في أماكن اللهو الليلية، أن ترتاد المكان سيدة محترمة وحدها؛ لذا فقد اتجهت أنظار كل رواد الملهى الليلي، الذي يملكه (نعمان والي) سرًّا، إلى تلك الشقراء، ذات العينين الخضراوين، التي دلفت إلى المكان منفردة، وهي تسدل على كتفيها فراء ثعلب نادر يشي بثراء لا حدَّ له، والتقطت عيون البعض تلك الأوراق المالية، من فئة الجنيهات العشرة، التي دستها الشقراء في يد رئيس الخدمة في الملهى، الذي انحنى أمامها في احترامٍ ملحوظٍ، ثم قادها بحماس إلى مائدة خالية، تواجه المسرح تمامًا.

وراحت الشقراء تتابع عروض الملهى في ضجرٍ ملحوظٍ، وهي تشعل سيجارة تلو الأخرى في نهم، حتى أشارت إلى رئيس الخدم في عصبية، فأسرع إليها، وانحنى أمامها انحناءة كبيرة، خشي البعض معها أن ترتطم رأسه بحافة مائدتها، وهو يقول في احترامٍ شديدٍ، صنعته رزمة الأوراق المالية، التي استقرت في جيبه منذ قليل:

- بم تأمر سيدتي؟

سألته في مللٍ، وهي تنفث دخان سيجارتها بقوة:

- ألا يوجد شيء من الإثارة لديكم؟

اعتدل رئيس الخدم، وهو يردِّد وراءها:

- الإثارة؟!.. ماذا تقصد سيدتي؟

مالت نحوه، وهي تسأله في لهفة:

- ألا توجد لديكم موائد خضراء هنا؟

ردَّد في دهشة مصطنعة:

- موائد خضراء؟!

ثم استطرد مبتسمًا في خبث:

- سيدتي تعلم أنَّنا مجرد ملهى ليلي، ومن المحظور أن.....

قاطعته في شغفٍ:

- هذا المحظور هو ما أبحث عنه.

رمقها بنظرة فاحصة وهو يقول:

- هل تميل سيدتي إلى هذا النوع من الإثارة؟

رفعت إحدى حاجبيها، ثم غمزت بالعين الأخرى، قائلة:

- ألذُّ الأخذِ ما سُلب.. أليس كذلك؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، وهو يقول:

- بلى.. لقد فهمت يا سيدتي.

ثم انحنى مرة أخرى انحناءة كبيرة، وأضاف:

- هل تسمح لي سيدتي بلحظة؟

تألقت عيناها ظفرًا، وهي تقول:

- بالطبع.

تركها رئيس الخدم، واتجه نحو ملاحظ القاعة، وتحدَّث إليه بضع لحظات، وأشار إلى حيث تجلس الشقراء، ثم عاد يتحدث في حماس، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة كبيرة، ثم يتجه إلى حيث تجلس الشقراء، ويقول:

- هل تسمح سيدتي بمصاحبتي؟

نهضت الشقراء في حماس، وجمعت أشياءها في حقيبتها الذهبية، وسارت إلى جوار رئيس الخدم، حتى باب جانبي، دلفا إليه معًا، وأغلقه الرجل خلفهما بإحكام..

وبين رواد الملهى، كان هناك رجل أشيب الفودين، له شارب كثٌّ، يجلس وحيدًا على مائدة بعيدة، يتابع الشقراء ورئيس الخدم في هدوءٍ، حتى دلفا خلف الباب، وأغلقه رئيس الخدم خلفهما، فغمغم الرجل محدثًا نفسه:

- رائع.. لقد ربحنا الجولة الأولى لهذه الليلة.

ثم أخرج من جيب سترته البيضاء بطاقة يتوسطها رسم لعقرب ذهبي، مستطردًا:

- وفي الجولة الثانية يضرب العقرب ضربته..

ولم يكن هذا الأشيب الفودين سوى (نديم فوزي)..

العقرب..

***

استقبل (سيد) الشقراء، التي لم تكن سوى (غادة) وصافحها بابتسامة عريضة، وهو يتفحص ملامحها، قائلًا:

- مرحبًا يا سيدتي.. سمعت أنَّك تبحثين عن بعض الإثارة.

ابتسمت في سخرية وهي تقول:

- عجبًا.. الأخبار تنتقل بسرعة كبيرة هنا.

غمغم وهو يتفرَّس في ملامحها في دقة:

- هذا صحيح.

ثم سألها بغتة:

- سيدتي.. هل التقينا من قبل؟.. أعني هل رأيتك مسبقًا؟

هزَّت كتفيها قائلة:

- ربما، فصوري تملأ صفحات الاجتماعيات، في معظم الصحف.

أومأ برأسه متمتمًا:

- نعم.. ربما..

ثم أشار إلى باب جانبي كبير، مستطردًا:

- تفضلي يا سيدتي.. هنا الإثارة الحقيقية.

وفتح الباب على مصراعيه، فارتفع حاجبا (غادة) في

دهشة..

لقد كانت هناك قاعة أخرى خلف الباب..

قاعة يبلغ حجمها ربع حجم قاعة الملهى الرئيسية، وتنتشر فيها عشر موائد قمار خضراء، التفَّ حولها عدد من الأثرياء، ممن يروق لهم بعثرة أموالهم على تلك الموائد..

وتغلبت (غادة) على دهشتها في سرعة، وهي تقول:

- رائع.

وسرعان ما انضمت إلى إحدى الموائد..

ولم تمض ربع الساعة، حتى كانت قد خسرت متعمدة ما يقرب من ألفي جنيه، فنهضت هاتفة في عصبية:

- أي حظٍّ سيئ هذا؟! لقد خسرت كل أموالي.

ابتسم (سيد) وهو يقول:

- لو أنَّك تحملين دفتر شيكات، فيمكننا أن....

قاطعته في حِدَّةٍ:

لا..

ثم اتجهت نحو الباب.. مستطردة:

- سأذهب لإحضار بعض النقود، وسأعود على الفور.

هزَّ كتفيه وقال بابتسامة ساخرة:

- سننتظر.

ثم التفت إلى أحد اللاعبين، مستطردًا:

- هكذا النساء.

انفجر بعض الرابحين ضاحكين، في حين عقد الخاسرون، وهم الأغلبية العظمى، حواجبهم حنقًا، و(غادة) تغادر المكان، وتهبط إلى صالة الملهى الرئيسية في توترٍ واضحٍ، وبدا

لحظة أنَّها ستغادر الملهى كله، إلا أنَّها لم تلبث أن يممت نظرها شطر مائدة بعيدة، وهتفت:

- (مروان) بك.. حمدًا لله.

وأسرعت الخطا نحو المائدة التي يجلس عليها (نديم)، وصافحته في حرارة، قائلة:

- (مروان) بك.. من حسن حظي أن أجدك هنا، فأنا أحتاج إلى بعض المال.

قال (نديم) في صوت مرتفع:

- كل ما أملك رهن إشارتك يا (نوال) هانم.

وأخرج من جيبه رزمة أوراق مالية، وناولها إياها، هامسًا:

- أين؟

أجابته في هدوء:

- الطابق الثاني لا توجد أية نوافذ، وهناك باب واحد، يقود إلى حجرة المدير، بخلاف باب الدخول الرئيسي.

تمتم في اهتمام:

- إذن يمكن الدخول إلى القاعة عبر غرفة المدير.

غمغمت:

- بالتأكيد؟

ثم دست رزمة الأوراق المالية في حقيبتها، هاتفة في صوت مرتفع:

- شكرًا لك يا (مروان) بك.. سأنقدك المبلغ في الصباح.

وعادت إلى رئيس الخدم في خطوات سريعة، وهي تقول له في حماس:

- هيا.. يمكنني مواصلة الإثارة لساعات أخرى.

- الطابق الثاني لا توجد أية نوافذ، وهناك باب واحد، يقود إلى حجرة المدير، بخلاف باب الدخول الرئيسي.

تمتم في اهتمام:

- إذن يمكن الدخول إلى القاعة عبر غرفة المدير.

غمغمت:

- بالتأكيد؟

ثم دست رزمة الأوراق المالية في حقيبتها، هاتفة في صوت مرتفع:

- شكرًا لك يا (مروان) بك.. سأنقدك المبلغ في الصباح.

وعادت إلى رئيس الخدم في خطوات سريعة، وهي تقول له في حماس:

- هيا.. يمكنني مواصلة الإثارة لساعات أخرى.

تابعها (نديم) ببصره، حتى اختفت مع رئيس الخدم خلف الباب، ثم نهض من مقعده، واتجه نحو باب جانبي آخر، وقال للواقف أمامه:

- أين حجرة المدير؟

رمقه الرجل بنظرة جانبية، وهو يقول في صرامة:

- لماذا تسأل؟

قال (نديم) في هدوء:

- لدي ما يهمه الاطلاع عليه.

تطلّع الرجل إليه طويلًا في شكٍّ وحذرٍ، ثم سأله:

- مَن أنت؟

أجابه (نديم):

- أخبر المدير أنَّني (مروان منصور)، المسئول الجديد عن

ضريبة الملاهي.

عقد الرجل حاجبيه، وهو يحدِّق في وجهه بدهشة، ثم قال:

- انتظر لحظات.

قالها واستدار يدفع الباب، ويعبره إلى ردهة صغيرة خالية، وعندما همَّ بإغلاقه خلفه، فوجئ بـ(نديم) يدلف إلى الداخل في سرعة، فقال في صرامة:

- قلت لك انتظر.

رفع (نديم) قبضته إليه، قائلًا:

- لو أنَّك تعلم ما أحمله في قبضتي هذه، ما تحدثت إليَّ على هذا النحو.

أغلق الرجل الباب وهو يسأله في حذر:

- وما الذي تحمله؟

انقضت قبضة (نديم) على فكِّ الرجل كالقنبلة وهو يهتف:

- هذا.

انفجرت اللكمة في فكِّ الرجل، فدفعته للخلف في عنف، وضربته بالحائط، إلا أنَّها لم تفقده الوعي، بل جعلته يهتف في ألمٍ وفي سخطٍ، وهو يمد يده نحو جيب سترته، لينتزع مسدسه:

- اللعنة!! إنَّك...

قبل أن يتم الرجل عبارته، كانت قبضة (نديم) اليسرى تغوص في معدته، ثم تقفز القبضة اليمنى، لتكتم شهقته في حلقه، وتحطم زوج أسنانه العلوية الأمامية..

وفي هذه المرة سقط الرجل فاقدًا الوعي..

واعتدل (نديم) يلهث بضع لحظات، ثم خلع سترته البيضاء، وألقاها فوق الرجل، وبقي بسرواله وقميصه الأسودين، وأضاف إليهما قفازين من اللون نفسه، ثم نزع الشعر المستعار الأشيب الفودين عن رأسه، وهو يقول:

- الآن انتهى دور (مروان منصور).

وبدت الصرامة في عينيه وصوته، وهو يرتدي قناعه الأسود، مستطردًا:

- وحان دور (العقرب)..

***

-١١-

لسعة العقرب..

على الرغم من أنَّ الوقت كان متأخرًا حقًّا، إلا أنَّ اللواء (حلمي) لم يكن قد غادر مكتبه بعد، فقد شغله أمر (العقرب) عن الدنيا كلها، فراح يخطُّ كل ما لديه من معلومات، على ورقة بيضاء أمامه، ثم يضيف إليها اسمي (نديم) و(غادة)، قبل أن يغمغم:

- أكاد أقسم أنَّهما.....

لم يتم عبارته، واكتفى بهز رأسه في ضيق وحيرة، ثم رفع عينيه إلى باب المكتب، عندما سمع فوقه طرقات غليظة، جعلته يقول في ضيق:

- ادخل يا (مجدي).

دفع العقيد (مجدي) الباب، ودخل إلى الحجرة مبتسمًا، وهو يقول:

- فراسة رائعة يا سيادة اللواء.. إنَّك لا تخطئ أبدًا.

قال اللواء (حلمي)، وهو يشير إلى الباب:

- إنَّك الوحيد الذي....

كان ينوي أن يخبره أنَّه الوحيد الذي يطرق بابه بهذه الغلظة، إلا أنَّه فضل ألا يفعل في اللحظة الأخيرة، فبتر عبارته ثم غمغم:

- الوحيد الذي أعرفه في يسر.

جلس (مجدي) على المقعد المقابل لمكتب اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- هذا يسعدني يا سيادة اللواء.

تنهَّد اللواء (حلمي) في ضيق وقال:

- قل لي يا (مجدي): لماذا أنت هنا، حتى هذه اللحظة المتأخرة؟

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يقول:

- هناك أمر يقلقني، ويشغل عقلي كثيرًا يا سيدي.

سأله (حلمي) في ملل:

- ما هو؟

قال (مجدي) في لهجة تشفٌّ عن خطورة الأمر:

- (العقرب).

جذبت الكلمة انتباه اللواء (حلمي) كثيرًا، فسأله في اهتمام:

- ماذا عنه؟

لوَّح (مجدي) بكفه، قائلًا:

- إنَّه ليس لصًّا بالتأكيد، فهو لم يسرق شيئًا، على الرغم من

كل ما فعله، وكل ما ارتكبه من مخالفات قانونية، وهذا يبدو لي عجيبًا!.. فهو يبدو لي أشبه بشخص يثأر لنفسه من (نعمان والي) شخصيًا، وعلى الرغم من ذلك فهو يتخذ لنفسه هيئة عجيبة، ويرتدي قناعًا كأبطال الروايات الخيالية، ويتعمَّد ترك بطاقته خلفه أينما ذهب، ثم....

صمت بغتة كأنَّما يستعدُّ لإلقاء قنبلة، قبل أن يضيف في بطءٍ:

- ثم إنَّ هناك فتاة.

سأله (حلمي) في قلق:

- وماذا عنها أيضًا؟

هزَّ (مجدي) رأسه، ولو بكفه، قائلًا:

- ليس عنها بصفة شخصية، ولكن الأمور كلها تتجمع في رأسي، وترسم صورة عجيبة.

سأله (حلمي) في مزيج من القلق:

- أية صورة؟

تنهَّد (مجدي) في عمق وقال:

- حاوِل أن ترسم الصورة مثلي يا سيدي.. شاب وفتاة، ليسَا لصين، ولكنهما يعملان ضد القانون، وضد (نعمان والي) بالذات.. بم يذكرك هذا؟... بل بمن يذكرك؟

جمع (حلمي) تلك الورقة، التي خطَّ عليها اسمي (نديم) و(غادة)، وكورها في قبضته، ثم ألقاها في سلة المهملات، وهو يقول في صوت، حاوَل أن يجعله هادئًا:

- بمن؟

مال (مجدي) نحوه وهو يقول في حزم:

- بـ(نديم) و(غادة).

ردَّد (حلمي) خلفه في توتر:

- (نديم) و(غادة).

ثم أطلق ضحكة عالية، بدت واضحة العصبية، قبل أن يستطرد:

- يبدو أنَّ الخيال قد جمح بك كثيرًا.

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- بل هذا هو أقرب ما يمكن إلى الواقع يا سيدي، على الرغم من غرابته.

قال (حلمي) في حِدَّةٍ:

- كيف أيُّها العقيد؟!.. إن (نديم) محامٍ محترمٍ، ولن يخاطر بسمعته من أجل هذا.

قال (مجدي) في حنق:

- بل هو مجنون بما يكفي ليفعل.

ونهض مستطردًا في حزم صارم:

- وسأبذل أقصى جهدي لإثبات ذلك يا سيدي.

لم ينبس اللواء (حلمي) ببنت شفة، حتى غادر (مجدي) حجرته، ثم أدار عينيه إلى سلة المهملات حيث ألقى الورقة، التي تحمل اسمي (نديم) و(غادة)، وقال في أسفٍ:

- يبدو أن مهمتك تزداد تعقيدًا أيُّها (العقرب).

***

برقت عينا (سيد) كعادته، وهو يتطلَّع إلى محتويات خزانة الملهى، المتخمة برزم أوراق، وبعض الحلي والمجوهرات، التي خسرها أصحابها على موائد القمار، وغمغم وهو يلتقط ثلاث رزم مالية، ويدسها في جيب سترته:

- من حسن الحظ أنَّ زبائن الموائد الخضراء، لا يطالبون بإيصالات رسمية، مقابل ما خسروه بغبائهم.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة، وهو يستطرد في خبث:

- والزعيم لا يطالب بذلك أيضًا.

وارتفع من خلفه صوت جامد يقول:

- وماذا عني أنا؟

انتفض جسد (سيد) في قوة، ولما كان موقنًا من أنَّه وحده في حجرته، وأنَّ لهذه الحجرة بابين فحسب، أحدهما يقود إلى قاعة القمار السرية، ولا يمكن فتحه من خارجها، دون استخدام الأرقام السرية الخاصة، والآخر يقف على حراسته (إدوارد) بجسمه الضخم، ومسدسه المتحفز، فقد امتلأت نفسه بمزيج من الدهشة والحيرة والذعر، وهو يستدير إلى مصدر الصوت في سرعة كبيرة..

ثم تحوَّلت دهشته إلى ذهول..

وحيرته إلى سخط..

وذعره إلى هلع..

كل هذا عندما اصطدم بصره بذلك الشاب قوي البنية، على

الرغم من نحوله، الذي اتشح بالسواد، وأخفى عينيه بقناعٍ كبيرٍ، وصوَّب إليه مسدسًا..

نفس مسدس (إدوارد) الضخم المتحفز..

وبلهجة خرجت من لسان جفَّ لعابه، هتف (سيد):

- أنت؟!

أجابه (العقرب) في برود:

- هل أدهشتك رؤيتي؟!

بقي (سيد) لحظات صامتًا، يحدِّق في الوجه الصارم ذي القناع، ثم غمغم في حنق:

- كيف دخلت إلى هنا؟

رفع (العقرب) قبضته أمام وجهه، وهو يقول:

- أبرزت بطاقتي لحارسك، فأفسح لي الطريق على الفور.

ثم لوَّح بالمسدس، مستطردًا في هدوء مثير:

- بل أصر على منحي مسدسه.

عاد (سيد) يحدِّق في وجهه في حنق وذهول، ثم هتف:

- ماذا تريد؟

قال (العقرب) في هدوء:

- هذا هو السؤال المناسب حقًّا.

ثم جذب إبرة مسدسه، مستطردًا في صرامة:

- فلنقل في البداية إنَّني أريد كل ما لديكم من أموال.

سرت موجة توتر قوية في جسد (سيد)، قبل أن يقول في حِدَّةٍ:

- أنت لصٌّ إذن!!... مجرد لص.

هزَّ (العقرب) كتفيه في لا مبالاة، وهو يقول في برود:

- لستُ أظنُّ عقلك التافه يصلح لفهم الأمور على نحو أكثر عمقًا.

قال (سيد) في عصبية:

- ما الذي تحاوله يا فتى؟.. أن تلعب دور (روبين هود)؟!

قال (العقرب) في هدوء مثير:

- بل دور (الماتادور) يا رجل.. أتعلم مَن هو (الماتادور)؟... إنَّه مصارع الثيران الأسباني الشهير، الذي يقضي جل وقته في الحلبة، في ملاعبة الثور، وإنهاكه إلى أقصى حدٍّ، وبعد أن ينهكه تمامًا، يتوقف عن منازلته، ثم ينتزع سيفه من غمده، ويصيب به الثور في مقتل.

ومال نحو (سيد) مستطردًا في صرامة:

- وفي لعبتنا هذه، يلعب سيدك (نعمان والي) دور الثور أيُّها الوغد.

وبدلًا من أن تغضب العبارة (سيد)، ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يقول في هدوء مباغتٍ عجيبٍ:

- هكذا؟!... أيعني هذا أنَّك تلعب دور (الماتادور)؟!

وقبل أن يدرك (نديم) ما يعنيه ذلك التحول المفاجئ، شعر بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة عنقه، وسمع صوت (إدوارد) الغاضب، وهو يقول:

- لقد انتهت المباراة مبكرًا أيُّها المتحذلق.. هيا... انزع قناعك هذا، فلستُ أحب أن أقتل مقنعًا.

وأردف عبارته بجذب إبرة مسدسه في حزم...

***

-١٢-

الطعنة..

صحيح أنَّ (نديم فوزي) قد عجز تمامًا عن التكيف مع أسلوب الشرطة، فيما يتعلق بالقوانين واللوائح، إلا أنَّ التحاقه بأكاديمية الشرطة، وبجهاز الشرطة فيما بعد، كان يتطلب اجتياز اختبارات ليست باليسيرة، واكتساب مهارات وقدرات ليست بالعادية..

أضف إلى هذا شخصية (نديم) القوية، وقلبه الذي اعتاد مواجهة الصعاب والشدائد، دون أن تختلج خلاياه، أو تتزايد نبضاته..

ولهذا لم يشعر (نديم) بالخوف، عندما التصقت فوهة المسدس بمؤخرة عنقه، ولم يرتبك، أو يفقد سيطرته على عقله وأعصابه..

إنَّه – على العكس – امتلأ فجأة بحماس وقوة غير عاديين.

وعلى نحو مفاجئ - بالنسبة لـ(إدوارد)، دفع (نديم) رأسه إلى الأمام، ثم مال بها جانبًا، ليتفادى انطلاق أي رصاصة من مسدس المجرم، ودار على عقبيه في سرعة ومهارة، وأمسك معصم (إدوارد) بقبضته اليسرى، ورفع يد هذا الأخير، الممسكة بالمسدس، عاليًا، ثم هوى بقبضته اليمنى، وبالمسدس الذي اغتصبه من (إدوارد) بالذات، على فكِّ هذا الأخير...

وجاءت اللكمة كقنبلة مباغتة، انفجرت في فكِّ الحارس الضخم، قبل أن يدرك حتى ما حدث...

ودون أن تنطلق من مسدس (إدوارد) رصاصة واحدة، اندفعت رأسه إلى الخلف في حِدَّةٍ وعنف، وارتطمت بحافة الباب المفتوح، وأصدرت دويًا قويًّا، ثم عادت تندفع إلى الأمام، لتسقط مع جسده كله أرضًا..

قفز (نديم) جانبًا، ليفسح المجال لسقوط جسد (إدوارد) الضخم، ولكنه لم يكد يستقر في مكانه، ويرفع عينيه إلى (سيد)، حتى رأى هذا الأخير ينقض عليه في شراسة، وفي قبضته خنجر حاد يلتمع...

قفز (نديم) جانبًا، متفاديًا نصل الخنجر الحاد، وهو يهتف:

- لا أيُّها الوغد... ليس ثانية.

وأمسك معصم اليد الممسكة بالخنجر في سرعة، ثم ثنى الساعد في مهارة، واستقبله بساعده هو، مما أجبر (سيد) على ترك الخنجر، وهو يطلق صرخة ألم، كتمتها لكمة (نديم) الساحقة في حلقه، وهذا الأخير يقول:

- لا ترفع صوتك يا رجل.

كان لالتقاء قبضة (نديم) بفك (سيد) صوت مكتوم، أشبه بانفجار لغم قديم، وسط كومة من رمال الصحراء، ثم جحظت عينا (سيد)، وسقط عند قدمي (نديم) فاقدًا الوعي....

وفي هدوء التقط (نديم) من جيب قميصه واحدة من بطاقاته، التي تحمل رسم (العقرب) الذهبي، ووضعها فوق جسد (سيد)، وهو يقول:

- بلغ تحياتي إلى زعيمك أيُّها الوغد، وقل له أن يستعد

لطعنة السيف الأخيرة.

وجذب مشط المسدس، واتجه نحو الباب، الذي يفصل ما بين حجرة المدير، وقاعة القمار السرية، ودفع الباب بقدمه في عنف، ثم قفز داخل القاعة، بزيه الأسود الغامض الرهيب، وقناعه المخيف وهتف:

- لا يتحرك أحدكم أيُّها السادة... إنَّه سطو.

انطلقت شهقات البعض، وصرخات البعض الآخر، واشترك الجميع في إلقاء نظرة رعب على ذلك المقنع الأسود، وهم يتراجعون في ذعر، رافعين أيديهم في استسلام، في حين أسرع أحد رجال (نعمان) بنزع مسدسه، لولا أن هوت على عنقه ضربة قوية، أسقطته أرضًا كلوح من الخشب، مع صوت (غادة)، وهي تقول في سخرية:

- ألم تسمع أيُّها الغبي؟

وأخرجت من حقيبتها الذهبية الصغيرة مسدسًا، صوبته بدورها إلى الحاضرين، مستطردة في لهجة جذلة:

- هذا سطو.

***

اتسعت عينا (نعمان والي) وقفزت الكلمات من بين شفتيه كالقنبلة، وهو يصرخ في ثورة وغضب وسخط:

- سطو؟!... سطو على الملهى الليلي؟!

أجابه (سيد) في حنق، وهو يتحسس ضمادات فكِّه:

- نعم أيُّها الزعيم... سطو مسلح... لقد خدعنا ذلك (العقرب) اللعين مرة أخرى، بمعاونة سيدة شقراء، ونجحا في الاستيلاء على نصف مليون من الجنيهات تقريبًا.

صرخ (نعمان):

- أيُّها الأغبياء... أيُّها الحمقى... ألم آمركم باتخاذ كل وسائل الحذر؟!...

ألم أطلب منكم مضاعفة الحراسة على كل منشآتنا؟!

قال (سيد) في ضيق:

- لقد فعلنا أيُّها الزعيم، ولكننا لم نتوقع هجومًا على الملهى الليلي، ولا على قاعة القمار السرية بالتحديد، فالملهى ليس مُسجلًا باسمك، بل باسمي أنا، ثم إنَّ معرفة أمر القاعة السرية ليس بالمهمة اليسيرة.

هتف (نعمان):

- وهذا ما يثير جنوني.

وضرب سطح مكتبه بقبضته، مستطردًا في ثورة:

- كيف يعلم ذلك الرجل كل هذا؟

ورفع عينيه إلى (سيد)، مردفًا بمزيد من الثورة:

- ثم كيف أمكنه أن يغادر الملهى الليلي بهذه البساطة، وهو يحمل نصف مليون جنيه من أموالنا؟

قال (سيد) في مرارة:

- كنت أنا فاقد الوعي، وكذلك (إدوارد)، ولقد دفع هو وزميلته زبائن القاعة السرية إلى تقييد كل رجالنا فيها، وبعدها حملا الأموال في حقيبة كبيرة، وغادرا المكان من مكتبي، حيث ارتدى هو سترة بيضاء فوق ثوبه الأسود، وتأبطت الشقراء ساعده، ونزع قناعه، ووضع على رأسه شعرًا مستعارًا أشيب الفودين، و....

قاطعه (نعمان) في حنق:

- هكذا؟!.. بكل بساطة.... من المؤكد أنَّني أحيط نفسي بثلة من الحمقى الأغبياء.... أنتم السبب في كل ما يحققه ذلك (العقرب) من انتصار تلو الآخر.. أنتم السبب؛ لأنَّه يتعامل مع مجموعة من الأغبياء... كيف يغادر الملهى بهذه البساطة؟... ألم يوقفه أحد؟... ألم يصرخ أحد رواد صالة القمار مستنجدًا؟... ألم يتعرف إليه مخلوق؟

زفر (سيد) في قوة، وقال:

- ليس من الطبيعي أن يوقف العاملون في ملهانا زبونًا ينصرف، وقتما يحلو له، وليس من المنطقي أن يتعرف إليه

أحد، ما دام أحد لا يشك في أمره، أو يحاول التفرس في ملامحه، ثم إن أحدًا من رواد قاعة القمار السرية لم يكن ليطلق صرخة واحدة، مهما كانت خسائرهم، فكلهم من علية القوم، ولن يفضحوا أنفسهم أبدًا، ولاحظ أنَّهم كانوا يمارسون لحظتها نشاطًا يحظره القانون.

ألقى (نعمان) جسده على ذلك المقعد الوثير، خلف مكتبه، وهو يهتف في حنق:

- أعلم ذلك... أعلم ذلك.

ثم عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته في عنف، مستطردًا:

- هذا (العقرب) يعرف كيف يضرب ضربته، ويترك لي في كل مرة بطاقته اللعينة، التي تصيبني بالجنون.

عقد (سيد) حاجبيه، وهو يقول:

- إنَّنا على الأقل نعلم أين سيضرب ضربته القادمة؟

التفت إليه (نعمان) في حِدَّةٍ، وهو يقول:

- أين؟

أجابه في حزم:

- في المنشأة الوحيدة الباقية لك أيُّها الزعيم.

هتف (نعمان) في حنق:

- قلت لك ألا تخاطبني بهذا اللقب.

زفر (سيد) في ضيق، وقال:

- حسنًا.. أقول إنَّه سيضرب ضربته حتمًا في المنشأة الباقية، فهو قد هاجم مزرعة الثعالب، ومزرعة الدواجن، والإسطبل، ثم الملهى الليلي، فماذا بقي له؟

قال (نعمان) في توتر:

- شركة المقاولات.

هتف (سيد):

- تمامًا... وهذا يعني أنَّه سيضرب ضربته القادمة هناك، وكل ما علينا هو أن نحشد كل رجالنا وقوتنا في ساحة المعركة القادمة، ونملأ رؤوسهم جميعًا بأمر واحد.

وامتلأت لهجته بصرامة وحشية، وهو يستطرد في بطء:

- بقتل (العقرب) فور ظهوره.... وبلا رحمة...

استرخى (نديم) في مقعد ضخم وثير في ردهة منزله وتطلّع في تكاسل وتراخٍ إلى (غادة) التي راحت تصبُّ له قدحًا كبيرًا من الشاي، وسألها في هدوء، وقد لاحظ تقطيبة حاجبيها:

- ماذا يقلقك؟

قالت في ضيق:

- ما فعلناه.

وناولته قدح الشاي، وهو يسألها في بساطة:

- وما الذي فعلناه؟

جلست على المقعد المقابل له، وزفرت في ضيق، وهي تقول:

- بل قل ما الذي نفعله؟... إنَّنا نضيع الوقت في معابثة (نعمان والي)، وإثارة غيظه وغضبه، دون أن نتجه إلى الهدف الرئيسي، ألا وهو الإيقاع به، بتهمة الاتجار في المخدرات.

قال في هدوء:

- بل نحن نتجه إلى الهدف يا (غادة)، ولكن بأسلوب جديد، سيصيب (نعمان) بالجنون والغضب، بحيث يصبح مؤهلًا لتلقي الطعنة القاضية.

قالت في عصبية:

- وهل يتضمن هذا الأسلوب أن نتحول إلى لصوص، يدبرون ويخططون لسرقة خزانة ملهى ليلي؟!

قال في صرامة:

- أنت تعلمين أن السرقة ليست الهدف، فلقد تبرعنا بالمبلغ كله لصالح عدد من الجمعيات الخيرية وملاجئ الأيتام والعجزة، ولكنني أمارس مع (نعمان) لعبة مدروسة، تستهدف دفعه إلى خطوة عصبية، توقع به في الفخ، وتدفعه إلى تقديم نفسه للعدالة، على طبق من فضة.

ثم اعتدل، مستطردًا في اهتمام:

- إن معركتي مع (نعمان والي) لا تهدف إلى مجرد التخلص منه يا (غادة)، بل أن أجعل منه عبرة لكل مجرم يحتمي بثغرات القانون، ليتهرب من سيف العدالة... أنت تعلمين مثلي أن (نعمان) يتمتع بحصانة قانونية.

غمغمت:

- أعلم ذلك.

تابع وكأنَّه لم يسمعها:

وهذه الحصانة تمنع إلقاء القبض عليه بأية تهمة، إلا حالة واحدة.

وصمت لحظة ثم أضاف:

- التلبس.

قالت في توتر:

- ولكن الجميع يعلمون أن (نعمان والي) رجل شديد الحرص والحذر، وأنَّ هذا سر قوته، وأنَّه من المستحيل تقريبًا الإيقاع به متلبسًا.

قال في حزم:

- وأنا ألعب لعبتي لتحطيم هذا المستحيل.

قالت محنقة:

- ولكنني شريكتك في كل هذا، فلماذا تحتفظ بخطتك في رأسك وحدك؟

تطلَّع إليها لحظة، قبل أن يقول في صدق:

- لأنَّني لم أضع بعد خطة نهائية.

حدَّقت في وجهه بدهشة بالغة، قبل أن تهتف مستنكرة:

- ماذا؟!... لم تضع بعد خطة نهائية؟.... أَعَبَثٌ هذا؟

قال في هدوءٍ:

- صدقيني – لم أضع بعد خطة نهائية، كل ما أفعله الآن هو أن أثير أعصاب (نعمان) إلى أقصى حدٍّ، بحيث يصبح القضاء على (العقرب) هو هدفه الأول والأسمى، وعندما تحين اللحظة الحاسمة، ويجد أمامه فرصة ذهبية للتخلص من المقنع الغامض، الذي أحال حياته إلى جحيم، فإنَّه لن يتردد في الاندفاع نحوها، متخليًا عن حرصه وحذره الأسطوريين.

وفرقع إصبعه، مستطردًا في حزم:

- وعندئذ تحين لحظة الطعنة القاضية.

وانعقد حاجباه في قوة، وهو يضيف:

- طعنة العقرب...

***

-١٣-

حصار..

أطلقت (غادة) من بين شفتيها صفيرًا منغومًا، يشفُّ عن مزيج من السعادة والجذل، وهي تهبط درجات سلم منزلها، في الصباح التالي، ولم تكد تغادر البناية التي تقطنها، وتتجه شطر سيارتها الصغيرة، الرابضة على بُعد أمتار من بوابة البناية، حتى وقع بصرها على وجه جعلها تعقد حاجبيها في ضيق، مغمغمة:

- يا له من صباح.

اتجهت إلى حيث سيارتها في هدوء، وهي تقول للرجل الذي ارتكن بجسده على مقدمة السيارة، وراح يطالع إحدى صحف الصباح في تراخ:

- صباح الخير يا سيادة العقيد (مجدي).

اعتدل (مجدي)، والتفت إليها، وهو يجيب في لهجة

متحفزة، تنذر بجدل عنيف:

- صباح الخير... هل اعتدت الاستيقاظ متأخرًا هكذا، منذ تركت عملك في سلك الشرطة؟!

قالت في برود، وهي تفتح باب سيارتها:

- إنَّني أستمتع بذلك في الواقع.

قال في خبثٍ، وهو يراقبها تدير محرك السيارة:

- وكيف حال (نديم)؟.. هل يستيقظ متأخرًا أيضًا؟

هزَّت كتفيها، وهي تقول بنفس البرود:

- ربما.

قال بنبرة غامضة:

- لعلكما تقضيان ليلكما في عملٍ شاقٍّ.

عقدت حاجبيها في شدة، وهي تقول في حِدَّةٍ:

- ماذا تقصد؟

هتف:

- لم أقصد الإشارة إلى أية نقيصة أخلاقية، أقسم لك.

قالت في غضب صارم:

- ماذا تقصد إذن؟

مال نحو نافذة السيارة، وتطلّع إلى عينيها مباشرة، وهو يقول:

- أقصد عملكما الليلي.

حدجته بنظرة أشد برودة من الثلج، وهي تقول:

- أي عمل؟

أجابها وهو يدرس ملامحها كلها:

- عمل (العقرب).

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة أحنقته، وهي تقول:

- (العقرب)؟!... أي عقرب هذا؟... عقرب الساعات أم عقرب الدقائق؟

عقد حاجبيه في سخطٍ، وهو يقول:

- أتسخرين مني أيتها الـ.....

قاطعته في صرامة:

- الـ ماذا؟!...

لوح بيده هاتفًا:

- لا شيء... أعلم أنَّه ليس من حقي قانونًا أن أوجِّه لك أية اتهامات، ما دمت لا أملك أدلة.

ثم انحنى نحوها مرة أخرى، مردفًا في غلظة:

- ولكنني أعلم أنَّه (العقرب)، وأنَّك رفيقته.

تطلَّعت إلى ملامحه في سخرية، وهي تقول:

- قل لي أيُّها الشرطي، هل اعتدت تناوُل المخدرات في الصباح؟

قال في غضب:

- هذا الشرطي كان رئيسك فيما مضى أيتها السخيفة، وكان يمكنه أن يوقع عليك جزاءً صارمًا، و.....

قاطعته ساخرة:

- فلتحمد الله على أنَّه لم يعد كذلك.

احتقن وجهه غضبًا، وقال في حِدَّةٍ:

- لا بأس أيتها المتحذلقة... اسخري ما شئت، فلقد وضعت

يدي على أول الخيط، ولن أتركه حتى ألقي بك وبرفيقك المغرور خلف القضبان، وكل ما أريده منك هو أن تنقلي له رسالة صغيرة.

ومال ليحدق في عينيها مباشرة، مستطردًا في صرامة هائلة:

- أخبريه أنَّني أعلم أنَّه (العقرب)، وأنني لن أهدأ بالًا حتى أوقع به.. أخبريه هذا فحسب... فكلانا يفهم الآخر جيدًا... أنَّه لن...

انطلقت بالسيارة بغتة، على نحو أخل بتوازنه، فبتر عبارته ليحتفظ بتوازنه، ثم لوَّح بقبضته خلفها صائحًا في غضب:

- سأوقع به حتمًا.

زادت من سرعة سيارتها، وهي تقول في توتر بالغ:

- لقد أحكموا الحصار تمامًا حولك يا (نديم).. لقد حاصروك حتى النخاع..

***

هزَّ (نديم) كتفيه في لا مبالاة، عندما قصَّت عليه (غادة) القصة، وقال بهدوئه التقليدي المثير:

- دعيه يضرب رأسه بالحائط... لقد حان الوقت ليدفع ثمن ثغرات القانون، فلا بد له أن يجد دليلًا ماديًا ضدي، قبل أن يوقع بي.

قالت في ضيق:

- الأمر ليس هينًا إلى هذا الحد يا (نديم)، فعلى الرغم من ضيقنا بـ(مجدي)، إلا أنَّنا نعلم كم هو عنيد ومثابر، ثم إنَّه مخلص في عمله كثيرًا، وما دام قد قرر الإيقاع بك، فلن يهدأ له بال حتى....

مال نحوها بغتة، وقاطعها في هدوء:

- لا بد أن يجد دليلًا ماديًا أولًا يا عزيزتي... هذا هو القانون.

تطلعت إليه لحظة في صمت، ثم ابتسمت متمتمة:

- قل لي: ألم يكن أحد أجدادك إنجليزيًّا؟

هزَّ رأسه نفيًا، وهو يقول:

- لا أعتقد ذلك... لماذا تسألين؟

اتسعت ابتسامتها، وهي تقول:

- لأن أحدهم أورثك ذلك البرود الإنجليزى الشهير.

ثم هزَّت رأسها متمتمة في أسف:

- كم كنت أتمنى لو أن أحد أجدادك كان فرنسيًّا.

سألها في دهشة:

- لماذا أيضًا؟

مالت نحوه، وتطلعت إلى عينيه، وهي تجيب:

- لأن الفرنسيين يولدون بقلوب دافئة، هل تفهم؟

مضت لحظة من الصمت، وهو يتطلّع إلى عينيها الخضراوين، قبل أن يقول في هدوءٍ شديدٍ:

- ليس كفرسان العرب، الذين أنجبوا (قيس بن الملوح)، و(أبا فراس الحمداني)، و....

قالت في خفوت:

- و(نديم فوزي).

خُيِّل إليها لحظة أنَّه يبتسم، وأنَّ عينيه تنطقان بما لم تتصور أن ينطق به لسانه، إلا أنَّ هذا لم يلبث أن ذاب وتلاشى، مع صوته الهادئ وهو يقول:

- أخبريني يا (غادة).. لو أنَّك في موضع (نعمان والي)، فأين تتوقعين ضربة (العقرب) التالية؟

ضايقها أن أبدل الأمر على هذا النحو، وطغى بعقله على نبض قلبها المحب الولهان، إلا أنَّها أجابته في جدية:

- في شركة المقاولات بالفعل.

سألها في اهتمام:

- لماذا؟

أجابته:

- لأنَّها المكان الوحيد الذي يملكه (نعمان)، ولم يهاجمه (العقرب) بعد.

تراجع في مقعده، واستند برأسه إلى مسنده، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول كمن يتحدَّث إلى نفسه:

- إذن فهذا هو المكان الذي يتوقعه الجميع.

وهزَّ رأسه مغمغمًا:

- لو أنَّهم ينتظرون من (العقرب)، أن يضرب ضربته، حيث يتوقع الجميع، فهم حمقى ولا شك.

سألته في شغف:

- أين سيضرب ضربته إذن؟

التفت إليها والتمعت عيناه في جذل، وهو يقول:

- خمني.

خُيِّل إليها أن عينيه تحملان ابتسامة...

ابتسامة كبيرة....

***

أزاح الرائد (شريف) منظاره المقرّب عن عينيه، وهو يقول للعقيد (مجدي)، الذي يجلس على مقعدٍ مجاورٍ له:

- الأمور تسير على نحو تقليدي مثير للملل يا سيادة العقيد، فـ(نديم) و(غادة) يتحدثان معًا طوال الساعة الماضية، وكأنَّما لا تنفذ أحاديثهما أبدًا.

قال (مجدي) في غلظة:

- والِ مراقبتهما أيُّها الرائد، فلن يلبث (نديم) أن يغادر مكتبه، ويتَّجه إلى شركة (نعمان والي) للمقاولات.

سأله (شريف) في حيرة:

- ولماذا يفعل؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- ليضرب (العقرب) ضربته القادمة هناك.

رفع الرائد (شريف) حاجبيه في دهشة، وهو يهتف:

- (العقرب)؟!

قال (مجدي) في حِدَّةٍ:

- راقبهما أيُّها الرائد... هيا.

شعر الرائد (شريف) بحيرة بالغة، إزاء موقف رئيسه وعباراته المبهمة، إلا أنَّه لم يملك سوى إعادة المنظار المكبِّر إلى عينيه، ومعاودة مراقبة نافذة حجرة مكتب (نديم)، من البناية المقابلة للمكتب، عبر الشارع الواسع...

وكان (نديم) في هذه اللحظة يتحدث إلى (غادة) في حماس، وهي تجلس إلى جوار النافذة، ثم انتقل هو إلى داخل الحجرة، بحيث اختفى عن أنظار (شريف)، ولكن نظرات (غادة) وحديثها، وتلويحها بكفها، كانت توحي بأنَّها ما زالت تواصل حديثها مع (نديم).

ولكنها لم تكن تفعل في الواقع..

لقد كانت تلعب دورها في براعة منقطة النظير فحسب....

أما (نديم) فقد انصرف...

انصرف ليلعب دور (العقرب)...

برغم أنف القانون...

***

تطلَّع حارس قصر (نعمان والي) طويلًا، إلى وجه ذلك الكهل الأشيب، الكثّ الشارب، الغليظ الحاجبين، قبل أن يقول في حذر:

- تقول إنَّك رجل شرطة.

أجابه الكهل في صرامة:

- قلت لك إنَّني العميد (مختار حسن)، من المباحث الجنائية، وإنني أريد مقابلة السيد (نعمان) لأمر بالغ الأهمية.

سأله الحارس:

- أي أمر هذا؟

عقد الكهل حاجبيه، وهو يقول:

- ليس هذا من شأنك يا رجل.. أوصلني إلى رئيسك فحسب.

عاد الحارس يتطلَّع إليه طويلًا، قبل أن يقول:

- انتظر لحظة.

ورفع سماعة هاتف صغير، مثبت إلى جوار البوابة، وقال:

- صلني بـ(نعمان) بك.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يعتدل في وقفته، ويقول في احترام:

- صباح الخير يا (نعمان) بك.. أنا حارس البوابة، هناك رجل يرغب في مقابلتك، يُدعى العميد (مختار حسن)، من المباحث الجنائية.

انتبه الكهل، في هذه اللحظة بالذات، إلى وجود آلة تصوير تليفزيونية، بين أغصان شجرة قريبة، ولاحظ أن عدستها قد مالت قليلًا، لتركز على وجهه لحظات، قبل أن يقول الحارس:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.

وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، وهو يفتح البوابة قائلًا:

- تفضَّل يا سيادة العميد.

عبر الكهل البوابة، وقطع المسافة الطويلة عبر الحديقة، التي تفصله عن القصر، قبل أن يصل إلى باب القصر، حيث استقبله (نعمان) بابتسامة عريضة، وهو يقول في لهجة عجيبة:

- مرحبًا يا سيادة العميد... أي ريح طيبة أتت بك إلى قصري المتواضع؟

صافحه الكهل في هدوء، وهو يقول:

- التواضع هو آخر صفة تُطلق على قصرك يا سيد (نعمان) ... أو عليك شخصيًا.

اتسعت ابتسامة (نعمان) أكثر، وهو يقول:

- يا لها من بداية!... لا بأس يا سيادة العميد... سنتحدث في مكتبي.

قاده عبر ردهة القصر الفاخرة إلى حجرة المكتب الأكثر فخامة، والتي أزيل حائطها الأيسر كله تقريبًا، لتحتل موضعه نافذة زجاجية هائلة، تُطلُّ على حديقة وارفة، تنتهي بميناء صغير، على شاطئ النيل، استقرَّ فيه زورق بخاري أنيق..

واتخذ العميد مجلسه على مقعد وثير، يواجه النافذة، وهو يقول في برود:

- يبدو أنَّك تربح كثيرًا هذه الأيام يا سيد (نعمان).

حافظ (نعمان) على ابتسامته، وهو يتخذ مقعده خلف مكتبه، قائلًا:

- أفي المباحث الجنائية تعمل، أم في إدارة التهرب من الضرائب يا سيادة العميد؟

قال العميد بنفس البرود:

- إنَّني أعمل لحساب الدولة على أية حال، ويقلقني كثيرًا أنَّ أجد صاحب شركة مقاولات عادية، يحيا بكل هذا البذخ.

سأله (نعمان) في لهجة أقرب إلى السخرية:

- لماذا؟... هل أنت شيوعي؟

أجابه العميد:

- بل رجل يجيد الحساب، ويجد أنَّ أرباح كل شركاتك لا تكفي لمثل هذه الحياة، التي تنافس ملوك أوروبا في العصور الوسطى.

وصمت لحظة ثم قال في حزم:

- ما لم...

سأله (نعمان) وهو يرفع حاجبيه مبتسمًا:

- ما لم ماذا؟

عقد العميد حاجبيه وقال في صرامة:

- ما لم تكن أحد المتاجرين في تلك السموم، التي تبلغ

أرباحها حدًّا خرافيًا.

ران الصمت لحظات على المكان، ثم أطلق (نعمان) بغتة ضحكة قوية عالية، استمرت طويلًا، على نحو أدهش العميد، قبل أن يقول (نعمان) في لهجة أقرب إلى الجذل:

- لعبة طريفة حقًّا يا رجل... كنت أتمنى أن أواصل لعبها معك طويلًا، لولا أنَّ وقتي أضيق من أن أفعل.

وضغط زرًّا فوق مكتبه، وهو يستطرد:

- لذا سأرسل في طلب من يهوى مثل هذه الألعاب.

لم يكد يضغط الجرس، حتى اقتحم الحجرة (سيد)، مع رجل آخر، يحمل مدفعًا آليًّا، و(نعمان) يضيف في مزيج من السخرية والشماتة:

- ويسعدني أن أخبرك أنَّك وقعت أخيرًا.

ونهض من خلف مكتبه، مستطردًا في صرامة:

- أيُّها (العقرب).

***

زفر الرائد (شريف) في ضجر، وهو يزيح المنظار عن عينيه، هاتفًا:

- ألا يشبعان من الحديث أبدًا؟

رفع العقيد (مجدي) عينيه إليه، وهو يقول في توتر مباغت:

- أما زالا يتحدثان؟

أجابه (شريف) في ضيق:

- بالتأكيد.

التقط (مجدي) المنظار المقرب، وأزاح (شريف) عن النافذة، وهو يضع المنظار فوق عينيه، وينظر إلى نافذة مكتب (نديم)، ثم قال في حِدَّةٍ:

- لستُ أرى (نديم)! أين ذهب؟

أجابه (شريف):

- إنَّه يقف في الركن المقابل منذ ساعة تقريبًا.

رفع (مجدي) المنظار عن عينيه، وهتف:

- منذ ساعة؟!

ثم ألقى المنظار، وهو يندفع خارجًا، مستطردًا في حنق:

- اللعنة!!.. لقد خدعنا ذلك الثعلب.

اندفع عبر الشارع كالقذيفة، وكاد يسقط تحت إطارات سيارتين مسرعتين على الأقل، قبل أن يبلغ بناية مكتب (نديم)، ويقفز درجاتها صاعدًا، وهو يهتف:

- اللعنة!!.. اللعنة!!.

انقضَّ على المكتب في عنفٍ، واقتحم حجرة (نديم) في

غلظة، وأدار عينيه فيها بغضب، قبل أن يصيح في وجه (غادة)، التي ابتسمت في سخرية:

- لقد هرب.. أليس كذلك؟

رفعت حاجبيها في دهشة مصطنعة، وهي تقول ساخرة:

- هرب؟!.. لماذا؟... إنَّه ليس مجرمًا أو سجينًا... إنَّه مواطن حر، ولا يوجد ما يمنعه من مغادرة مكتبه وقتما يشاء.

صاح محنقًا:

- ولكنك ظللت تخدعيننا بالتظاهر بالتحدث إليه طيلة الـ...

قاطعته في سخرية:

- كنت أسترجع كل أغنيات (عبد الحليم حافظ)، التي أحفظها، ولا شأن لي بأنَّكم قد تصورتم أنَّني أتحدث إليه، ثم إن قولك هذا يعني أنَّك كنت تراقبنا، أتملك تصريحًا من النيابة بذلك، أم أنها مراقبة غير قانونية؟!

انعقد حاجباه في غضبٍ هائلٍ، ثم هتف:

- لا بأس.. سأسمح لكما بخداعي هذه المرة.

قالت ساخرة:

- تسمح لنا؟!

تجاهل سخريتها، مستطردًا في غضب:

- ولكنني سأوقع بكما في المرة القادمة.

أغلق الباب في ثورة وعنف، فتلاشت ابتسامتها الساخرة، وهي تغمغم في قلق:

- هذا لو أنَّ هناك مرة قادمة.

وزفرت في عمق، قبل أن تستطرد:

- لو عاد (العقرب) سالمًا..

ران الصمت لحظات على حجرة مكتب (نعمان) الفاخرة، قبل أن ينهض الكهل في بطء، ويقول في هدوء:

- هل تتهمني بأنني (العقرب) يا سيد (نعمان)؟

لوَّح (نعمان) بكفِّه، على نحو مسرحي وهو يقول:

- بالتأكيد يا عزيزي.. كنت أعلم أنَّك أذكى من أن تضرب ضربتك حيث نتوقعك، وقدَّرت أنَّك لن تهاجم شركة المقاولات.. الآن على الأقل، ورحت أدرس الأمر بكل دقة، فوجدت أنَّه من غير المنطقي أن تهاجم مزرعة الثعالب والدواجن مرة أخرى، فلم يعد فيهما ما يغري بالمداهمة، وكذلك الملهى الليلي، الذي سيحتاج إلى بعض الوقت، ليستعيد زبائنه ثقتهم فيه مرة أخرى، وهكذا لم يبق لي سوى القصر، وكانت الوسيلة الوحيدة لدخولك إياه – في رأيي – هي أن تنتحل صفة رجل شرطة.

واتسعت ابتسامته، وهو يستطرد في زهو ظافر:

- باختصار، كنت أنتظرك.

ساد الصمت لحظات أخرى، قبل أن يعتدل الكهل، ويقول في هدوء:

- حسنًا يا (نعمان).. لقد ربحت هذه الجولة.

هتف نعمان:

- الجولة؟!.. لا يا عزيزى (العقرب).. لقد ربحت المعركة كلها.. سينتزع (سيد) تنكرك الآن، ونكشف وجهك الوسيم، وبعدها سنحيط جسدك بحجر ضخم، ونلقي به في النيل.

ظلَّ (نديم) هادئًا صامتًا، لا تشفُّ ملامحه عمَّا يدور في أعماقه، في حين ابتسم (سيد) في شماتة، وهو يقول:

- هذا يسعدني.

واتجه نحو (نديم)، ومدَّ يده لينتزع الشعر المستعار عن رأسه، وهو يضيف:

- إنَّني متشوق بالفعل، لرؤية وجه (العقرب)..

وفجأة سقط برود (نديم) كله، واشتعل جسده على حين غرة بشعلة من النشاط..

وبغتة انقضَّ هو على (سيد)، وقبض على معصمه في قوة، ثم أدار جسده في عنف وضغط سبابته عنوة على زناد مسدسه..

وانطلقت رصاصة (سيد)، على الرغم من أنفه، لتستقر في معدة زميله، الممسك بالمدفع الرشاش أمامه..

وأطلق الرجل صرخة ألم، وهو ينثني ممسكًا معدته، ويسقط أرضًا، في حين أدار (نديم) جسد (سيد) مرة أخرى، ليواجهه، وهوى على فكِّه بلكمة كالقنبلة، جعلت جسد (سيد) يقفز إلى الخلف ككرة مطاطية، و(نعمان) يتراجع في رعبٍ وذهولٍ...

ثم اندفع (نديم) نحو الحائط الزجاجي، وقفز يخترقه بجسده وسط الحديقة التي تفصل القصر عن شاطئ النيل..

وصرخ (نعمان):

- أوقفوه.. لا تسمحوا له بالفرار.

قفز (سيد) واقفًا على قدميه، والتقط مسدسه، وهو يندفع نحو النافذة، هاتفًا في سخط:

- لن ينجو هذه المرة أبدًا.

كان (نديم) يعدو بأقصى سرعته نحو الزورق البخاري، فقد وقع في الفخ الذي أعده له (نعمان)، وأصبح محاطًا برجال هذا الأخير من كلِّ جانبٍ..

فيما عدا جانب النيل..

وكان هذا هو المخرج الوحيد في رأيه..

ومن خلفه سمع دوي رصاصة، ثم شعر بخيط من النار يخترق ذراعه، إلا أنَّ هذا لم يوقفه، بل زاد من سرعته في حين راح (سيد) يهتف:

- لقد أصبته.. لقد أصبته.

صاح به (نعمان):

- اقتله.. لا تسمح له بمغادرة القصر حيًّا.

صوب (سيد) مسدسه مرة أخرى في إحكام، وضغط زناده....

وفي اللحظة التي بلغ فيها (نديم) ميناء القصر الصغير، شعر بألم شديد في عنقه، فترنح جسده، وسقط....

سقط في النيل...

وصرخ (سيد) في ظفر:

- قتلته.. قتلت (العقرب)...

وعندما بلغ الميناء مع رجاله، لم يكن جسد (نديم) قد طفا إلى السطح...

كان قد اختفى في مياه النيل...

نيل مصر....

***

-١٤-

اختفاء..

اقتحم العقيد (مجدي) حجرة مكتب اللواء (حلمي)، والغضب يتقافز من كل لمحة من لمحات وجهه، وهو يهتف محنقًا:

- مُر بإلقاء القبض عليه يا سيادة اللواء.. مُر بوضعه في السجن على الفور.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه في مزيج من الدهشة والاستنكار، وهو يقول:

- مَن هذا يا (مجدي)؟

ضرب (مجدي) سطح مكتب اللواء (حلمي) بقبضته في غضب، وهو يقول:

- (نديم).. (نديم فوزي) وزميلته السخيفة المتحذلقة

(غادة).. إنَّهما يتلاعبان بالقانون..

يتلاعبان بنا.

خفق قلب اللواء (حلمي) في قلق، وهو يقول:

- يتلاعبان بالقانون؟!.. ماذا تعني؟

ألقى (مجدي) جسده على المقعد المقابل لمكتب اللواء (حلمي)، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- هل تعلم مَن هو (العقرب) يا سيدي؟.. إنَّه (نديم فوزي) بشحمه ولحمه، و(غادة) هي مساعدته، التي شهد بوجودها الجميع.. مُر بإلقاء القبض عليه على الفور، و...

قاطعه (حلمي) في توتر:

- ولكنه اتهام خطير يا (مجدي)، هل تملك أية أدلة على أقوالك؟

احتقن وجه (مجدي)، واتسعت عيناه، وتراجع في دهشة،

وكأنَّه لم يتوقع هذا السؤال، وهو يغمغم:

- أدلة؟!

كان الأسلوب الذي ألقى به الكلمة كافيًا، ليتلاشى نصف القلق من نفس اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالطبع.. أنسيت قواعد العمل هنا أم ماذا؟.. إنَّك تتهم ضابط شرطة سابق بمخالفة القانون، وتطالبني بإصدار أمر بإلقاء القبض عليه، على الرغم من أنَّ أوامر إلقاء القبض من اختصاص النيابة وحدها، وهذا يعني بالضرورة أنَّ لديك أدلة قوية ضده..

ردَّد (مجدي) مرة أخرى في توتر:

- أدلة؟!

ثم عقد حاجبيه في شدة، وهو يستطرد في عناد:

- بالطبع لدي أدلة.

عاد قلب اللواء (حلمي) يهبط بين أضلاعه، وهو يقول:

- ما هي؟

اعتدل (مجدي)، وهو يتنحنح في قوة، قبل أن يقول في صلابة:

- الوصف ينطبق عليه وعلى زميلته تمامًا.

سأله اللواء (حلمي) في دهشة:

- أي وصف؟

أجابه في صرامة:

- ألم يتفق الشهود كلهم في أنَّهم قد رأوا شابًّا وفتاة، و...

قاطعه (حلمي) في حِدَّةٍ:

- وماذا؟

ردّد (مجدي) في حيرة:

- و... ولا ريب أنَّهما (نديم) و(غادة).. وإلا.. وإلا فمَن غيرهما؟

هتف اللواء (حلمي) في غضب:

- مَن غيرهما؟!.. أهذا هو دليلك الوحيد ضدهما؟.. أأنت لا تجد من تتهمه سواهما؟!..

احتقن وجه (مجدي) في شدة، ثم مال نحو المكتب بغتة في حزم، وهو يقول:

- هناك قرينة على الأقل، فلقد راقبت مكتب (نديم)، في محاولة لتتبعه، وثبت أنَّه هو نفسه ذلك المدعو (العقرب)، ولكنه تعمَّد خداعي، بمعاونة (غادة)، و...

قاطعه اللواء (حلمي)، هاتفًا في استنكار:

- راقبته؟.. وهل حصلت على إذن من النيابة بمراقبته هذه؟

ارتبك (مجدي) وتلعثم، وهو يقول:

- في الواقع.. أنا لم.. أنت تعلم كم هي معقدة إجراءات الـ..

قاطعه اللواء (حلمي) مرة أخرى في غضب:

- إذن فقد كنت تراقبه دون موافقة، ودون إذن بذلك.. أتعلم أية جريمة ارتكبت يا رجل؟

هتف (مجدي):

- ولكنه (العقرب).. ليست لدي ذرة من الشك في هذا.

صاح به (حلمي):

- أعطني الدليل المادي واحتفظ لنفسك بكل ذرات الشك ... هل تفهم؟. دليل مادي أو لا شيء..

عاد وجه (مجدي) يحتقن في شدة، وهو ينهض قائلًا:

- حسنًا يا سيدي.. سآتيك بالدليل المادي.. وسأجعل هذا

هدف حياتي كلها..

واتجه إلى الباب في حِدَّةٍ، قبل أن يستطرد مضيفًا:

- ولن ينعم (نديم) هذا بلقب (العقرب) طويلًا.

ثم أغلق الباب خلفه في عنف:

***

غمر الارتياح (نعمان والي)، وهو يرتدي ثيابه هذا المساء، استعدادًا لقضاء سهرته في حفل أقامته إحدى السفارات الأجنبية في (القاهرة)، فراح يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا، ويهز رأسه على إيقاع اللحن، وهو يعقد رباط عنقه الفاخر، الزاهي الألوان، إلا أنَّه لم يلبث أن توقف عن كل هذا بغتة، عندما سمع طرقات منتظمة على باب حجرته، وقال في صرامة، لم يكن لها ما يبررها:

- ادخل يا من تطرق الباب..

دخل رئيس خدمه، وانحنى انحناءة خفيفة في احترام،

وهو يقول:

- هنا صحفية شابة تطلب مقابلتك يا سيدي.

عقد (نعمان) حاجبيه في غضب، وهو يقول:

- صحفية؟!.. هنا؟!.. ومَن سمح لها بالدخول؟

ارتبك رئيس الخدم، وقال:

- الواقع إنَّنا لم نشأ اعتراضها يا سيدي، بناءً على أوامرك بحسن التعامل مع الصحافة، و...

قاطعه (نعمان) في حِدَّةٍ:

- ولكن الوقت غير مناسب لمقابلة الصحفيين.

أسرع رئيس الخدم يقول:

- لقد تأكَّدت أنَّها لن تأخذ الكثير من وقتك يا سيدي، وأنَّها ستطرح عليك سؤالًا واحدًا فحسب.

ظلَّ (نعمان) يعقد حاجبيه طويلًا في صمتٍ، ثم قال في حزم:

- حسنًا.. سألتقي بها.. دعها تنتظر في حجرة الضيوف الزرقاء.

تنحنح الخادم، قبل أن يقول في خفوت:

- إنَّها هناك بالفعل يا سيدي.

رمقه (نعمان) بنظرة طويلة، ثم أكمل عقد رباط عنقه في سرعة، وارتدى سترته ذات الياقات اللامعة، وأسرع يهبط في درجات قصيرة إلى الطابق السفلي، حيث جلست فتاة ذات شعر أحمر متناثر، ومنظار طبي ضخم أنيق، وترتدي قميصًا بسيطًا، وسروالًا أمريكيًّا أزرق..

خُيِّل لـ(نعمان) أنَّ وجه الفتاة مألوف، وهو يتجه إليها ويصافحها، قائلًا:

- (نعمان والي).. هل يمكنني التعرف إليكِ؟

أجابته في هدوء:

- (سلوى عثمان).. صحفية بمجلة (النهار).

أشار إليها بالجلوس، وهو يقول في لهجة تشفُّ عن الضجر والتعجل:

- يقولون إنَّ لديك سؤالًا لي.. ما هو؟

جلست وهي تقول في لهجة تحمل نبرتي التحفز والتوتر:

- إنَّهما سؤالان في الواقع.. الأول هو..

صمتت لحظة قصيرة، ثم أكملت في أسلوب هجومي حاد:

- أين العميد (مختار حسن)؟

كان السؤال مباغتًا، إلى حد جعل جسد (نعمان) ينتفض فوق مقعده في شدة، وجعل عينيه تحدقان في الفتاة الجالسة أمامه، في مزيج من الدهشة والذعر، قبل أن يهتف بلا وعي:

- العميد (مختار)؟!

قالت الفتاة بنفس اللهجة الهجومية الحادة:

- نعم.. أين هو؟.. إنَّني أعلم علم اليقين أنَّه قد زارك هذا الصباح، ومصادري تؤكِّد أنَّه لم يغادر قصرك بعد الزيارة، ولقد تحريت الأمر، فأخبرني بعض جيرانك أنَّهم قد سمعوا صوت تبادل إطلاق نيران هنا، أو صوت رصاصات على الأقل، فأين العميد (مختار)؟.. وماذا فعلت به؟

ظلَّ (نعمان) يحدِّق في وجه الفتاة لحظات في دهشة، ثم لانت ملامحه بغتة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- إذن فأنت تبحثين عن العميد (مختار حسن).. يا لها من فرصة طيبة أن تأتي بقدميك إلى هنا!!

قالت الفتاة في صرامة:

- أين هو يا سيد (نعمان)؟

اتسعت ابتسامته الساخرة، وهو يقول:

- إنَّه ليس هنا.. أقسم بشرفي على ذلك.

قالت بسخرية عصبية:

- بشرفك؟!.. هل توحي لي بعدم تصديقك؟

عقد حاجبيه في غضب، وهو يقول:

- لم تعد هناك فائدة لهذا.. كلانا يعلم أنَّه ما من داع لاستمرار هذا العبث، فنحن نعلم أنَّه لا وجود لعميد شرطة بهذا الاسم، وأنَّ ذلك الذي انتحل تلك الصفة، لم يكن سوى زميلك.

ازداد انعقاد حاجبيه، وهو يضيف في غلظة:

- العقرب.

ارتكنت على مقعدها في برود، وهي تقول:

- ومَن قال إنَّني أزامل العقارب؟

قفز من مقعده بغتة، وهو يهتف في غضب:

- أنا أقول هذا.

وانتزع الشعر الأحمر المستعار عن رأسها في حركة مباغتة، مستطردًا:

- وهذا هو الدليل.

انسدل شعرها على كتفيها، فور انتزاع الشعر المستعار عنه، وإن بدت هي شديدة البرودة، وهي تقول ساخرة:

- أي دليل يا سيد (نعمان)؟.. هل يوجد عاقل واحد في هذه الدنيا، يمكنه أن يعتبر ارتداء الشعر المستعار دليل اتهام، بالنسبة إلى أية سيدة؟.. إنَّك لو فعلت هذا لألقيت القبض على ثلاثة أرباع نساء العالم.

جلس (نعمان) على المقعد المواجه لها، وهو يقول في صرامة:

- ومَن يحتاج إلى دليل؟.. لقد وضع زميلك المقنع القواعد كلها، فهو بنفسه قال إنَّها حرب بغير أدلة ولا قانون، ولقد كشفتِ أنتِ نفسكِ بسؤالك عن العميد (مختار)، الذي تأكَّدنا من أنَّه ذلك (العقرب)، قبل أن نورده حتفه.

اتسعت عيناها في ذعرٍ، وهي تهتف:

- هل قتلتموه؟

لوح بيده في حركة مسرحية، مجيبًا:

- لا جواب يا عزيزتي الصغيرة.. أنت تعلمين بالطبع أنَّ العقارب تكره الماء، وأنَّه من المستحيل أن يسبح عقرب مصاب برصاصة قاتلة.

هتفت في بغض:

- أيُّها الوغد.

صرخ في وجهها بغتة:

- اخرسي..

ثم عاد يلوح بكفه في عصبية هذه المرة، مستطردًا:

- أنتِ وعقربك لعبتما لعبة أكبر من حجمكما.. وتحديتما من يمكنه سحقكما بأطراف أصابعه، دون أن تقدّرا عواقب الأمور، وغرّكما ذلك النجاح التافه السريع، الذي حققتماه بمهاجمة منشآتي، فرحتما تسعيان إلى مزيد من النجاح، وأردتما مهاجمة قصري للمرة الثانية، ولكن هيهات.. إنَّكما أتفه من أن تتحديا (نعمان والي).. إنَّكما..

انقضت عليه بغتة، وتعلقت بياقة سترته اللامعة، وهي تهتف في غضب:

- أيُّها الوغد الحقير.. أيُّها الـ..

دفعها بعيدًا في حِدَّةٍ، وهو يصرخ:

- (شوقي).

اندفع نحوه رجل ضخم من رجاله، إثر النداء، فاستطرد

وهو يشير إلى الفتاة، التي لم تكن سوى (غادة):

- أوقفها.

انقضَّ (شوقي) بجسده الضخم على (غادة)، وكبَّل معصميها بقبضتيه في قوة، وهي تقول:

- هل ستقتلني يا (نعمان)؟.. هل ستأمر رجالك بالتخلص مني هنا؟

أخرج (نعمان) علبة سجائره، ودسَّ بين شفتيه سيجارة، وهو يقول:

- لا.. ليس هنا.. إنَّني رجل حذر في الواقع، ولا يمكنني المخاطرة بقتل فتاة هنا.

قالت في حِدَّةٍ:

- هل ستحتجزني إذن؟

ابتسم وهو يهز رأسه نفيًا، قائلًا:

- ولا هذا أيضًا.

وأشعل سيجارته، والتقط منها نفسًا عميقًا، وهو يقول:

- إنَّ لدي حلًا أفضل، فهناك أماكن في هذه المدينة، يجهل حتى رجال الشرطة أنَّني أمتلكها، ومنها فيلا صغيرة أنيقة في المقطم.. سأرسلك إليها الآن، حيث...

لم يتم عبارته، وإنَّما مرر سبابته على عنقه، بما يحمل المعنى المقصود، فهتفت (غادة) في غضبٍ:

- أيُّها الوغد.

تجاهل (نعمان) غضبها تمامًا هذه المرة، وهو يشير إلى (شوقي)، قائلًا في حزم:

- أريد أن تختفي تمامًا.

وهنا كمَّم (شوقي) فم (غادة)، وحملها عنوة إلى الخارج وهي تقاومه في عنفٍ، في حين نفث (نعمان) دخان سيجارته مرة أخرى، وهو يقول مبتسمًا في ظفر، وعيناه

تتألقان ببريقٍ عجيبٍ:

- والآن يمكنني أن أغلق ملف (العقرب)..

وسحب نفسًا عميقًا آخر من سيجارته، ونفثه في قوة مستطردًا في حزم:

- إلى الأبد..

***

-١٥-

هجوم..

أوقف (شوقي) سيارته أمام تلك الفيلا الصغيرة، فوق جبل المقطم، وغادرها وهو ينادي زميليه داخلها:

- (أنور).. (صالح).. هلمَّا إلى هنا.

أسرع إليه الرجلان، وسأله أحدهما في لهفة:

- أهو طرد جديد؟

ابتسم (شوقي) قائلًا:

- نعم.. هو طرد جديد، ولكنه ليس أحد الطرود المعتادة.. إنَّه طرد خاص.

غمغم (أنور) في حيرة:

- طرد خاص؟!.. أتعني أنَّه نوع خاص من المخدر؟

أطلق (شوقي) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

- بل من البشر.

ثم فتح حقيبة السيارة الخلفية، فحدَّق (أنور) و(صالح) في جسد (غادة)، المقيدة المعصمين والكاحلين، والمكمَّمة الفم، والتي تتطلَّع إليهما في غضب، وهتف (صالح):

- إنَّها فتاة.

قال (شوقي)، وهو يخرج (غادة) خارج السيارة:

- نعم.. إنَّها رفيقة ذلك (العقرب).

غمغم الرجلان في دهشة:

- العقرب؟!.. لقد أخبرونا أنَّ الزعيم قد تخلَّص منه.

أومأ (شوقي) برأسه إيجابًا، وقال:

- بالتخلص من زميلته تنتهي العملية كلها.

حمل (صالح) و(أنور) (غادة) إلى داخل الفيلا، حيث حلَّ (شوقي) وثاق قدميها، وأزال الكمامة عن فمها، وهو يقول ساخرًا:

- ما رأيك الآن؟.. هل نجح صديقك (العقرب)؟

أدهشه أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة تجمع بين السخرية والظفر، وهي تقول:

- بالتأكيد.

ولم تكد تتم حروف كلمتها حتى بدأ الهجوم..

آخر هجوم يتوقعه الرجال الثلاثة..

هجوم (العقرب)..

***

بدا (نعمان) شديد التأنق والابتهاج، في حفل تلك السفارة الأجنبية، وراح كعادته يوزع ابتساماته ونكاته على الجميع، على الرغم من ركاكة لغته الأجنبية، حتى انفرد بالملحق الثقافي للسفارة، وانتحى به جانبًا، وهمس له بالعربية:

- مرحبًا يا صديقي (دافيد).. كيف حالك؟ وكيف حال الشحنة الجديدة؟

ابتسم (دافيد)، وداعب خصلات شعره الأشقر الناعم بأصابعه، وهو يقول:

- في خير حال يا عزيزي (نعمان).. إنَّها ستصل في موعدها تمامًا.

نطق (دافيد) العبارة في لغة عربية سليمة، فقال (نعمان):

- أرجو أن يكون رؤساؤك قد اتخذوا الاحتياطات اللازمة هذه المرة، فأنت تعلم أنَّها أكبر شحنة منذ تعاملنا معًا، لقد كلفتني مائتي مليون دولار، وهي تقريبًا كل ثروتي.

قال (دافيد) في هدوء:

- لا تقلق يا عزيزي (نعمان).. إنَّنا نتخذ الترتيبات اللازمة دومًا، ولم يحدث أن تم الإيقاع بك أبدًا.. أليس كذلك؟

زمجر (نعمان)، قائلًا:

- ليس الفضل في هذا لترتيباتكم يا (دافيد)، وإنَّما بحذري الشديد.

ابتسم (دافيد) في سخرية، وهو يقول:

- هكذا؟!

هتف (نعمان) في حنق:

- دعك من أسلوبك هذا، الذي أمقته، وأخبرني مرة أخرى.. ألا توجد أية تعديلات في الخطة؟.. هل سيتم التسليم مساء الجمعة القادم كما اتفقنا؟

هزَّ (دافيد) رأسه نفيًا، وقال في حسم:

- بالطبع.. ستصل الشحنة - كما اتفقنا - على يخت خاص،

وستتسلمها مع رجالك على بُعد عشرة كيلو مترات، شرق مصيف (العجمي)، والشحنة سيبلغ وزنها طنًا كاملًا، من الهيروين البالغ النقاوة، وعليك إعداد السيارات اللازمة لحمله.

تمتم (نعمان):

- سأفعل.

رفع (دافيد) كأسه عاليًا، وهو يقول:

- ولا تنس عمولتي يا عزيزى، فأنت ستربح من هذه الصفقة خمسمائة مليون دولار على الأقل.. أليس كذلك؟

التمعت عينا (نعمان) ببريق شرهٍ عجيب، وهو يرفع كأسه بدوره، قائلًا في شبق:

- نعم.. إنَّها صفقة العمر..

وتقارع الكأسان..

***

كان الهجوم خاطفًا، مباغتًا، قويًّا، مخيفًا..

لم تكد (غادة) تتم حروف كلمتها، التي نطقتها في سخرية وحزم، حتى فوجئ الأوغاد الثلاثة (شوقي) و(صالح) و(أنور)، بزجاج نافذة الفيلا، المطلة على (القاهرة)، يتهشم في عنفٍ، وتتناثر قطعه في وجوههم، مع شبح أسود يعبر النافذة كالصاعقة..

صرخ (أنور) في رعبٍ، وتراجع (صالح)، وهو يشهق مذعورًا، في حين قفزت يد (شوقي) إلى مسدسه، وهو يهتف:

- ما هذا؟

وهوت قبضة (العقرب) على فكِّ (أنور)، ثم قفز هو يواجه (صالح)، في نفس اللحظة التي رفع فيها (شوقي) مسدسه إليه، صارخًا:

- لن تربح أيُّها (العقرب).

***

كان الهجوم خاطفًا، مباغتًا، قويًّا، مخيفًا..

لم تكد (غادة) تتم حروف كلمتها، التي نطقتها في سخرية وحزم، حتى فوجئ الأوغاد الثلاثة (شوقي) و(صالح) و(أنور)، بزجاج نافذة الفيلا، المطلة على (القاهرة)، يتهشم في عنفٍ، وتتناثر قطعه في وجوههم، مع شبح أسود يعبر النافذة كالصاعقة..

صرخ (أنور) في رعبٍ، وتراجع (صالح)، وهو يشهق مذعورًا، في حين قفزت يد (شوقي) إلى مسدسه، وهو يهتف:

- ما هذا؟

وهوت قبضة (العقرب) على فكِّ (أنور)، ثم قفز هو يواجه (صالح)، في نفس اللحظة التي رفع فيها (شوقي) مسدسه إليه، صارخًا:

- لن تربح أيُّها (العقرب).

ولكن (شوقي) لم يطلق رصاصة واحدة..

فعلى الرغم من يديها الموثقتين خلف ظهرها، قفزت قدم (غادة) تركل المسدس من يد (شوقي)، وهي تهتف:

- لا تتجاهلني أيُّها الوغد.

ثم اندفعت قدمها الثانية تغوص في معدته، مستطردة:

- صحيح أنَّني امرأة، ولكن..

قفزت قدمها الأولى تركل فكَّه كقنبلة، وهي تكمل جملتها:

- للنساء قوتهن أيضًا.

أما (نديم)، فقد واجه (صالح) في برود كعادته، وهو يقول:

- ما قولك يا صديقي؟.. أبإرادتك تستسلم، أم على الرغم من أنفك؟

تردد (صالح) بضع لحظات، إلا أنَّ مشهد القناع الأسود،

وأسلوب الهجوم الخاطف المباغت، وتلك النبرة الصارمة الباردة في صوت (نديم)، كلها عوامل جعلت إرادة (صالح) تتفتت، وجعلته ينهار متمتمًا:

- إنَّني أستسلم.

أشار (نديم) إلى (غادة)، وهو يقول في هدوء، وكأنَّما كان يتوقع هذا الاستسلام غير المشروط:

- حلَّ وثاق زميلتي إذن.

نفَّذ (صالح) الأمر صاغرًا، فأسرعت (غادة) تلتقط مسدس (شوقي)، وهي تأمر (صالح) في صرامة:

- والآن ستقوم بتوثيق زميليك في إحكام.. هيا.

ثم التفت إلى (نديم)، الذي اتخذ مقعدًا وثيرًا في هدوء، وراح يتابع المشهد على نحو يوحي باللامبالاة، وسألته في تعاطف:

- كيف حال جراحك يا عزيزي؟

هزَّ كتفيه، وهو يقول في هدوء:

- في خير حال.. ومن حسن الحظ أن صديقنا (سيد) لا يجيد التصويب، فلقد جاءت الإصابات كلها سطحية، يسهُل علاجها، ولكن إصابة ذراعي تعوقني عن القتال الجيد بالتأكيد، ولهذا فقد كان من الأفضل أن يستسلم ذلك الوغد، فلست أدري ماذا كان سينتهي إليه الأمر، لو أنَّه قرر القتال؟

احتقن وجه (صالح) في حنق، في حين أطلقت (غادة) ضحكة ساخرة، وهي تقول:

- هذا من حسن الحظ.

ثم استطردت في حنان مباغت:

- ومن حسن تدبيرك للأمور أيضًا، فلقد كنت رائعًا بالتأكيد، عندما غصت في النيل ورحت تسبح تحت الماء بذراع مصابة، وعنق ينزف، حتى بلغت ذلك الموضع، الذي تركت عنده سيارتك، و...

لوَّح بكفه، قائلًا:

- لا داعي لكشف كل الأوراق، أمام هذا الوغد يا عزيزتي.

ثم التفت إلى (صالح)، قائلًا:

- والآن اجلس يا رجل، ستجيب عن بعض الأسئلة.

جلس (صالح)، وهو يقول في توتر حانق:

- لو أنَّك تهدف إلى معرفة بعض أسرار الزعيم، فثق أنَّك لن تجد أية أجوبة، ولن...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- من قال إنَّني أرغب في معرفة أي شيء عن زعيمك الحقير هذا؟

تطلَّع إليه الرجل في دهشة، وهو يقول في حيرة:

- أية أسئلة ستلقيها إذن؟

اعتدل (نديم) في مجلسه، وحمل صوته كل صرامته وقوته، وهو يسأله في حزم:

- أريد معرفة ما تخفيه هذه الفيلا.. ولو أردت مزيدًا من التحديد، فأنا أبحث عن شيء واحد.

وبدا أكثر صرامة، وهو يضيف في حزم:

- المخدرات.

***

عندما عاد (نعمان) من ذلك الحفل، في الرابعة صباحًا، كان جسده كله يتراقص بهجة وسعادة، بعد أن حقَّق في ليلته انتصارين ساحقين..

تخلَّص من آخر ما يتهدده بشأن (العقرب)، وأكَّد صفقة عمره..

ولهذين السببين بالذات، شعر (نعمان) بدهشة بالغة، عندما وصل إلى قصره المنيف، وشعر بتلك الروح القلقة التي

تحيط به وأدهشه أكثر وجود (سيد) في القصر، في تلك الساعة المبكرة، فسأله في توتر:

- ماذا حدث؟.. لماذا أتيت الآن؟

كان (سيد) يبدو أشد قلقًا وحنقًا وتوترًا، وهو يجيب:

- العقرب.

كانت كلمة واحدة، من ستة حروف لا غير، إلا أنَّها كانت كافية لأن ينتفض جسد (نعمان) كله في قوة، كمن أصابته صاعقة، وتتسع عيناه حتى تقاربا الجحوظ، وهو يحدِّق في وجه (سيد)، مُردِّدًا:

- (العقرب)؟!.. أي عقرب؟

لوَّح (سيد) بكفِّه في سخطٍ، وهو يقول:

- وهل يوجد غيره؟.. ذلك العقرب الأسود القاتل.. ذلك الشبح الذي يطاردنا في كل مكان وزمان.

ارتجف جسد (نعمان) وصوته، وهو يقول في توتر:

- ولكن.. ألم يلق مصرعه؟.. ألم تطلق عليه النار بنفسك؟

أجابه (سيد) في مرارة:

- هذا ما تصورته، وما تصورناه جميعًا، ولكن يبدو أنَّ هذا العقرب كالأشباح.. لا يموت أبدًا.

ألقى (نعمان) جسده على أقرب مقعد إليه، وهو يقول في شحوب:

- وكيف؟.. كيف علمت أنَّه حي؟

عقد (سيد) حاجبيه، قائلًا:

- لقد ضرب ضربة جديدة.

ردَّد (نعمان) كالمذهول:

- ضربة جديدة؟!.. كيف؟

أجابه (سيد) في صوت يذخر بالحنق والمرارة والغضب:

- لقد هاجم فيلا المقطم، وحرَّر زميلته.

هتف (نعمان):

- هاجم الفيلا، وحرَّر زميلته؟!.. وكيف له أن يتوصَّل إليها؟

زفر (سيد) في حنق، قبل أن يجيب:

- من الواضح أنَّه تتبع سيارة (شوقي)، حتى وصل إلى الفيلا، وهناك هاجم (شوقي) و(صالح) و(أنور) على نحو مباغت، وحرَّر زميلته، و...

بتر عبارته بغتة، على نحو أثار قلق (نعمان)، فهتف به:

- وماذا؟

زفر (سيد) مرة أخرى في سخطٍ، وأجاب:

- وسرق كيلو جرامين من الهيروين.

هبَّ (نعمان) من مقعده، صارخًا:

- ماذا؟!.. سرق الـ..

لم يستطع إتمام عبارته، من فرط انفعاله، فاختنقت الحروف في حلقه، وسعل في عنف، قبل أن يستطرد محتدًا:

- أي هراء هذا؟.. كيف كشف مخبأ الهيروين؟.. مَن أرشده إليه؟

أجابه (سيد) في حِدَّةٍ:

- (صالح).. ولقد قمت باللازم معه، ونال جزاء فعلته، و(أنور) و(شوقي) يعملان على إخفاء جثته الآن، ولكن ما يثير غضبي هو لماذا يفعل ذلك العقرب كل هذا؟.. إنَّني واثق من أنَّه ليس مجرد لص.

انعقد حاجبا (نعمان) في شدة، وهو يقول في عصبية:

- أنت على حقٍّ يا (سيد).. السؤال الحقيقي هو لماذا يفعل

كل هذا؟

وشرد ببصره بضع لحظات في صمت، قبل أن يستطرد في انفعال، وكأنَّه يفكِّر بصوتٍ مرتفعٍ:

- من الواضح أنَّ زميلته كانت تعلم بنجاته، قبل أن تأتي إلى هنا، فلماذا خاطرت بالمجيء؟.. ربما لأنَّها تعلم أنَّني سأكشف أمرها، وأنني سأرسلها إلى مكان لا يعلمه سواي، نظرًا لحذري الشديد، وحرصي على ألَّا أتخلَّص منها في قصري، وكانت وزميلها (العقرب) يعلمان جيدًا أنَّه من الضروري أن يجدا بعض المخدرات، في ذلك المكان السري، ما دمتُ أحرصُ على سريته، وهذا يعني أنَّهما رسما كل هذه الخطة لهدف واحد، ألا وهو التوصل إلى المخدرات وسرقتها.. ولكنني واثق مثلك - في الوقت ذاته - من أنَّهما ليسا لصَّين عاديين.. فما الذي يبتغيانه إذن؟

غمغم (سيد) في حنق:

- لقد عجزت عن التوصل إلى ذلك أيُّها الزعيم.

صاح به (نعمان)، مفرغًا ثورة انفعاله:

كل هذا؟

وشرد ببصره بضع لحظات في صمت، قبل أن يستطرد في انفعال، وكأنَّه يفكِّر بصوتٍ مرتفعٍ:

- من الواضح أنَّ زميلته كانت تعلم بنجاته، قبل أن تأتي إلى هنا، فلماذا خاطرت بالمجيء؟.. ربما لأنَّها تعلم أنَّني سأكشف أمرها، وأنني سأرسلها إلى مكان لا يعلمه سواي، نظرًا لحذري الشديد، وحرصي على ألَّا أتخلَّص منها في قصري، وكانت وزميلها (العقرب) يعلمان جيدًا أنَّه من الضروري أن يجدا بعض المخدرات، في ذلك المكان السري، ما دمتُ أحرصُ على سريته، وهذا يعني أنَّهما رسما كل هذه الخطة لهدف واحد، ألا وهو التوصل إلى المخدرات وسرقتها.. ولكنني واثق مثلك – في الوقت ذاته – من أنَّهما ليسا لصَّين عاديين.. فما الذي يبتغيانه إذن؟

غمغم (سيد) في حنق:

- لقد عجزت عن التوصل إلى ذلك أيُّها الزعيم.

صاح به (نعمان)، مفرغًا ثورة انفعاله:

- صهٍ أيُّها الغبي.. قلتُ لك ألف مرة ألا تنطق ذلك اللقب، وإلا قطعت لسانك.. هل تفهم؟.. سأقطع لسانك لو نطقت به مرة أخرى.

عقد (سيد) حاجبيه، مغمغمًا:

- لن أفعل أيُّها الزعيم.. لن أفعل..

تابع (نعمان) ثورته:

- ولن يمكنك أبدًا التوصل إلى ما يهدفان إليه من لعبتهما.. أتعلم لماذا؟.. لأن عقلك لا يبلغ المستوى المطلوب لهذا.. إنَّهما يلعبان لعبة ذكاء كبرى، وأنت لا تستخدم من جسدك سوى عضلاتك فحسب، ولستَ تجيد حتى استخدامها.. هل فهمت؟

همهم (سيد) محتجًا، بكلمات غير مفهومة، فتابع (نعمان) متوترًا:

- إنَّهما يهدفان إلى أمر أكبر كثيرًا مما تتصور.. أراهن أنَّهما يلعبان لعبة محبوكة للغاية.. ولكن لماذا؟.. وما الهدف؟

وضرب قبضته اليمنى في راحته اليسرى، وهو يستطرد في سخطٍ:

- آه لو أعلم مَن هو (العقرب) هذا!!!

تمتم (سيد):

- إنَّ صوته يبدو لي مألوفًا، ولكنني لستُ أذكر متى ولا أين سمعته، ولا مَن صاحبه.. ولكنني أبذل أقصى جهدي، و...

قاطعه (نعمان) في حِدَّةٍ:

- لن تنجح أبدًا..

ثم تابع في غيظٍ:

- ولكن من الضروري أن أنجح أنا.. من المحتَّم أن أدرك طبيعة لعبتهما، فهذه هي الوسيلة الوحيدة للنصر..

وللظفر بـ(العقرب)..

-١٦-

الإعداد..

لم تكد (غادة) تدلف إلى مكتب (نديم)، في الصباح التالي، حتى وقع بصرها على العقيد (مجدي)، الذي جلس في الردهة الخالية، يتصفح جريدة الصباح، وقد وضع قدمه فوق ساقه الأخرى، وحلَّ رباط عنقه قليلًا، فابتسمت ابتسامة باهتة ضجرة، وهي تقول:

- صباح الخير يا سيادة العقيد.. قل لي: أينبغي أن ننتظر زيارتك كل صباح؟

طوى (مجدي) الجريدة، وألقاها على المنضدة أمامه، وحدج (غادة) بنظرة باردة قاسية، وهو يقول:

- إلى حدٍّ ما، فزيارتكما تروق لي كثيرًا.

جلست على المقعد المقابل له، وهي تقول في سخرية:

- كنت أتمنى أن يكون هذا الشعور متبادلًا، ولكنني لم أعتد النفاق.

عقد حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- ولا أنا.. أخبريني.. أين (نديم)؟.. ألا يحضر إلى مكتبه مبكرًا أبدًا؟

أتاه الجواب بصوت (نديم)، وهو يقول:

- هأنذا.

التفت الاثنان إلى باب المكتب، حيث ظهر (نديم)، وابتسمت (غادة) في حنان، وهي تقول:

- صباح الخير يا (نديم).

أما (مجدي)، فقد قال مُحتدًّا:

- أهلًا.. هل تهوى المباغتة دومًا؟

هزَّ (نديم) كتفه في هدوء، وهو يقول:

- فقط عندما يستلزم الأمر ذلك.

أشار (مجدي) إلى قطعة من مشمع الجروح اللاصق، تغطي جزءًا من عنق (نديم)، وقال:

- ما سبب هذا؟

أجابه (نديم) في لا مبالاة، وهو يتجه نحو حجرته الخاصة:

- مجرد جرح بسيط.

قفز (مجدي) من مقعده، وأمسك ذراع (نديم) في قوة، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- اسمع يا هذا.. إنَّك لن تخدعني أبدًا.. أراهنك أنَّك قد أصبت بهذا الجرح، في أثناء مغامراتك غير القانونية، في شخصية (العقرب) وأنَّ...

فجأة انتزع (نديم) ذراعه من قبضة (مجدي)، والتفت إليه في حركة حادة، وهو يقول في صرامة:

- اسمع يا (مجدي).. لقد سئمت تلك التفاهات.. قل لي أولًا: أبصفة رسمية أنت هنا أم شخصية؟

بهت (مجدي) للسؤال، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه قائلًا في تحدٍّ:

- وهل يهمك هذا كثيرًا؟

أجابه (نديم) بنفس الصرامة:

- نعم.. فلو أنَّك هنا بصفة رسمية، فأنا أصرُّ على أن تبرز أمر التفتيش، أو أمر قبض، أو أي شيء من هذا القبيل، أما لو كان الأمر بصفة شخصية فأنا أعتذر عن مقابلتك، فلقد اعتدت مقابلة عملائي بعد العاشرة، والساعة لم تتجاوز التاسعة والنصف بعد، ولست أسمح بالمقابلات الشخصية في أوقات العمل.. أهذا مفهوم؟

احتقن وجه (مجدي) في شدة، وهو يتطلَّع إليه، ثم قال

محنقًا:

- مفهوم.. ولكنني أردت أن أخبرك بأمر ما، وهو أنَّني أعلم أنَّك (العقرب)، وأنني سأوقع بك حتمًا، إن عاجلًا أو آجلًا.

قال (نديم) في برود:

- أهذا كل شيء؟

ازداد احتقان وجه (مجدي)، وهو يهتف:

- نعم.. هذا كل شيء.

واندفع نحو باب الخروج في حِدَّةٍ، ثم توقف ليستطرد:

- في الوقت الحالي.

وأكمل طريقه في عنف، فزفرت (غادة) قائلة:

- إنَّه مزعج للغاية..

أضاف (نديم):

- وفاشل أيضًا.

ثم أشار إلى مكتبه، مستطردًا:

- أكانت حجرتي مغلقة طيلة الوقت؟

أدركت مغزى سؤاله، فابتسمت قائلة:

- نعم.. ويمكنك أن تطمئن، فلن يمكنه دسَّ أية أجهزة تسجيل.

دفع باب حجرته في ارتياح، وهو يقول:

- اتبعيني.

تبعته إلى حجرته، فأغلق بابها خلفهما في إحكام، وهو يسألها في اهتمام:

- هل جمعت التحريات اللازمة عن ذلك الشخص؟

هزَّت كتفيها، قائلة:

- ليس بعد بالتأكيد، فهو ليس مواطنًا مصريًا وسيكون من العسير جمع تحريات كافية عنه.

أومأ برأسه متفهمًا، واتجه ليجلس خلف مكتبه، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، قائلًا:

- لقد كنتُ على حقٍّ لحسن الحظ، عندما استنتجتُ أنَّ هناك صلة مريبة، تربط (نعمان) بأحد موظفي هذه السفارة.

ابتسمت (غادة) وهي تقول:

- بل كانت عبقرية منكَ أن تستنتج ذلك!

هزَّ كتفيه، قائلًا في هدوء:

- لم يكن الأمر يحتاج إلى أي نوع من العبقرية، فلقد أدهشني أن يقبل (نعمان) الدعوة لحضور حفل هذه السفارة بالذات، على الرغم من رفضه دعوات سفارات دول أخرى، ودفعني هذا إلى التفكير في أنَّه سيلبي الدعوة ليلتقي

بشخص ما، يشاركه أعماله المريبة.. ولقد كنتِ أنتِ شديدة البراعة، عندما تشبثت بياقة سترته وغرست جهاز الإرسال الصغير، الذي نقل إلينا حواره مع (دافيد) هذا.

تنهَّدت قائلة:

- إنَّنا نعلم الآن أنَّ (نعمان) ينتظر إتمام صفقته الكبرى، مساء يوم الجمعة القادم، على بُعد عشرين كيلو مترًا، شرقي (العجمى)، وأنَّه قد خاطر بثروته كلها تقريبًا، في هذه العملية ويكفي أن نبلغ الشرطة، و...

قاطعها في هدوء:

- خطأ يا عزيزتي.. لو أنَّنا أبلغنا إدارة مكافحة المخدرات بالأمر، فسيقتصر الموضوع على إحباط الصفقة، وخسارة (نعمان) لثروته.

هتفت في دهشة:

- ألا يكفيك هذا؟

هزَّ رأسه نفيًا، وقال:

- مطلقًا.. الأوغاد أمثال (نعمان) ينهارون بالطبع، عندما يخسرون ثروتهم، إلا أنَّ ذلك الانهيار يتلاشى في سرعة، مع إصرارهم على تعويض خسارتهم بعمليات أخرى، ومن المؤسف أنَّهم يجدون من يمولهم، اعتمادًا على سمعتهم فحسب، وطمعًا في ربح وفير.. لا يا عزيزتي.. لست أسعى هذه المرة لإفساد صفقة مخدرات، وإفلاس (نعمان) فحسب.. بل أسعى إلى إنهاء المباراة بالضربة القاضية، أو بطعنة سيف (الماتادور).. أسعى إلى تحطيم (نعمان) تمامًا، بحيث لا تقوم له قائمة أبدًا.

سألته في لهفة:

- كيف؟

بدا هادئًا، باردًا، جامدًا، على نحوًا أحنقها كثيرًا، وهو يقول:

- ستعلمين فيما بعد يا عزيزتي.. ستعلمين كل شيء في الوقت المناسب تمامًا.

وفي هذه المرة أيضًا، لم يبتسم (العقرب)..

***

راح (سيد) يسير في أرجاء حجرته الخاصة، في الملهى الليلي، محنقًا، غاضبًا وبعد أن اتهمه زعيمه بالغباء، وبعدم القدرة على فهم الأمور، وراح يضرب مكتبه بقضبته في سخطٍ، وهو يهتف:

- لماذا يتصوَّر أنَّني غبي؟.. لماذا يظنني ساذجًا أبلهَ؟.. لماذا؟

وضغط أسنانه في غيظٍ، وهو يستطرد:

- آه لو أعرف مَن هو (العقرب)!.. عندئذ سيقدر الزعيم ذكائي، وسيحترم عقلي.

غمغم حارسه الخاص، الضخم الجثة، (إدوارد):

- لماذا يحنقك الأمر على هذا النحو يا سيدي؟.. كلنا نعلم أنَّ الزعيم يتصوَّر نفسه الذكي الوحيد هنا، و...

صاح (سيد) ليوقفه:

- كفى.. لستُ أحتمل هذا الحديث.

ثم استطرد في لهجة أقرب إلى الضراعة:

- قل لي يا (إدوارد).. ألا تذكر أين رأيت ذلك (العقرب) من قبل؟

هزَّ (إدوارد) رأسه نفيًا، وهو يقول:

- الواقع يا سيدي أنَّني لستُ أذكر أبدًا أنَّني قد رأيته من قبل.

هتف (سيد) محنقًا:

- ولكنني واثق من أنَّني قد رأيته.. شيء ما في صوته، أو في لهجته أو كلماته، يؤكِّد لي أنَّني قد التقيت به من قبل.. شيء قاله، أو...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه في شدة، وهو يهتف:

- يا للشياطين!!

اعتدل (إدوارد) في دهشة، وهو يسأله:

- هل تذكرت شيئًا يا سيدي؟

التفت إليه (سيد) في حركة حادة، وأمسك ذراعيه في قوة، وأساريره تتهلّل ظفرًا، وهو يهتف:

- بل تذكرت كل شيء يا (إدوارد).

وتضاعف بريق عينيه الشرس، وهو يضيف:

- عرفتُ من هو (العقرب)..

***

-١٧-

المباغتة..

كانت (غادة) منهمكة في تدوين بعض المعلومات، على جهاز كمبيوتر صغير في مكتب (نديم)، عندما سقط أمامها ظلٌّ ضخم، جعلها ترفع عينيها إلى صاحبه في هدوء، ولكن لم يكد بصرها يقع على جسد (إدوارد) الضخم، وابتسامته الوحشية، التي تكشف عن أسنان قذرة صفراء من كثرة التدخين، وذلك المسدس الكبير في قبضته، حتى تلاشى هدووؤها، وهبّت من مقعدها هاتفة:

- مَن أنت؟.. وماذا.....؟

قبل أن تتم عبارتها، برز (سيد) فجأة من خلف (إدوارد)، وألصق فوهة مسدسه برأسها، وهو يقول في شراسة:

- الصمت يا ذيل (العقرب).. حرف واحد وأفرغ مسدسي كله في رأسك.. هل تفهمين؟

كان من الواضح أنَّه يعني تمامًا ما يقول، ولمحت هي رجلين مسلحين آخرين، أغلق أحدهما الباب، ثم انتزع من طيات ثيابه مدفعًا رشاشًا، و(سيد) يستطرد:

- أين (نديم فوزي)؟.. أهو في مكتبه؟.. حذار أن تجيبي بأي صوت كان.. تكفيني إيماءة رأس فقط.

هزَّت رأسها نفيًا، فأشار إلى (إدوارد)، قائلًا في حزم:

- تأكَّد من إجابتها.

اتجه (إدوارد) إلى حجرة (نديم) في خفة، على الرغم من ضخامته، وانحنى يختلس النظر من ثقب بابها، ثم رفع رأسه، قائلًا في هدوءٍ هامسٍ:

- إنَّه هنا.

دفع (سيد) فوهة مسدسه في رأس (غادة) في عنف، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- هل تكذبين؟.. هل تحاولين حمايته؟

تمتمت في خفوت:

- ماذا تريدون منا؟

أجابها وهو يبتسم في شراسة:

- ستعلمين.

ثم دفعها أمامه في عنفٍ، وهو يهتف:

- اهجموا يا رجال.

اندفع الجميع بغتة داخل حجرة مكتب (نديم)، الذي هبَّ من مقعده متحفزًا، لولا أن لمح (غادة) بين يدي (سيد)، ومسدس هذا الأخير الضخم يلتصق برأسها فقال في صرامة:

- ماذا تريدون؟

افترَّ ثغر (سيد) عن ابتسامة وحشية شامتة، وهو يقول:

- نريدك أنت يا رجل.. نريد (العقرب).

قال (نديم):

- (العقرب)؟!.. أي عقربٍ يا رجل؟.. هذا مكتب محاماة محترم، و...

قاطعه (سيد) في حزم:

- لا تحاول يا رجل.. لقد أتيت إلى هنا، لأنني لا أملك ذرة شكٍّ واحدة في كونك (العقرب)، هذا بعد أن تذكرت كلمة نطقتها في حجرتي بالملهى الليلي، عندما هاجمتني هناك، في زيِّك الأسود المخيف.. هل تتذكر ما حدث عندما هاجمتك أنا بمديتي؟.. لقد صِحْتَ أنت عندئذ: «لا.. ليس ثانية».. فما الذي يعنيه هذا القول؟.. يعني في بساطة أنَّه قد سبق لي أن طعنتك بمديتي.. أليس كذلك؟.. أنت ينطبق عليك هذا، وتنطبق عليك الشروط.. وهذا يعني أنَّك أنت (العقرب).

ران الصمت لحظات على المكان، قبل أن يعتدل (نديم) في وقفته، ويقول في برود:

- حسنًا.. سنفترض أنَّني كذلك.. ماذا تريد الآن؟

هتف (سيد):

- كنتُ أريد أن أقتلك على الفور في الواقع، إلا أنَّني أُحبُّ أن أفاجئ بك زعيمي، فهو لن يتصوَّر أبدًا أنَّني استطعت التعرف والوصول إلى (العقرب)، وإلقاء القبض عليه أيضًا، وسيدهشه أنَّك أنت خصمه اللدود، الذي يبحث عنه بكل جوارحه.

قال (نديم) في هدوء:

- وهل يمكن دفع ثمن عدم فعل هذا؟

صاح (سيد):

- مطلقًا.

التفت (نديم) في بساطة إلى الرجال الثلاثة، الذين يصحبون (سيد)، وقال:

- وماذا عنكم أنتم يا رجال؟.. ما رأيكم بمليون جنيه دفعة واحدة، مقابل قتل (سيد) بدلًا مني، وعدم ذكر حرف واحد مما حدث لزعيمكم.

شعر (سيد) بحنق هائل، عندما لمح التردد في عيون رجاله، وهتف:

- أيُّها الأوغاد.. لا تجعلوه يخدعكم.. إنَّه لا يملك حتى هذا المبلغ.

قال (نديم) في برود:

- أمتلكه بالفعل أيُّها الوغد.. أنسيت أن أبي أحد أكبر أثرياء (مصر).

خشي (سيد) أن يؤثر الإغراء على رجاله، فهتف في صرامة:

- لا أيُّها (العقرب).. لن يمكنك شراء رجالنا أبدًا.

ثم جذب مشط مسدسه، وهتف في حزم:

- هيا.. اقتلوهما يا رجال.

وزاد تردد الرجال مع الأمر المباشر، فارتفعت فوهات أسلحتهم نحو (نديم)..

وحانت لحظة الحسم..

***

-١٨-

كل الاحتمالات..

كانت النهاية آتية لا ريب، وكانت كل الأصابع متحفزة لضغط الأزندة، وإطلاق عشرات الرصاصات على (نديم) و(غادة)، عندما ارتفع فجأة صوت هادئ من خلف (سيد) ورجاله، يقول:

- أخطأت أيُّها الوغد.. إنَّما أنا (العقرب).

كانت مفاجأة عنيفة حقًّا، جلعت الرجال الأربعة يلتفتون إلى مصدر الصوت في سرعة وتحفز..

ثم أتت المفاجأة الحقة..

لقد كان المكان خلفهم خاليًا..

خاليًا تمامًا..

وقبل أن تعود رءوسهم وأبصارهم إلى موضعها الأول، كان (نديم) و(غادة) قد شنَّا هجومهما المضاد..

قفز (نديم) من فوق مكتبه، وركل مسدس (إدوارد) في قوة، ثم هوى بقبضته على أسنان هذا الأخير كالصاعقة، وأما (غادة)، فقد اندفعت نحو (سيد)، وغاصت بقبضتها في معدته، ولم تنتظر حتى ينثني جسده، بل عاجلته بركلة في أنفه، سقط لها أرضًا، والدماء تلوث وجهه..

والتفت الرجلان الآخران في سرعة، ولكن واجههما مسدسَا (نديم) و(غادة)، والأول يقول في صرامة:

- مَن يحب أن يتلقى الرصاصة الأولى؟

كان لذلك الانقلاب المفاجئ، وللهجة (نديم) الصارمة ومباغتته، الأثر الكافي، فألقى الرجال سلاحيهما في سخطٍ، وارتفعت أذرعتهما فوق رأسيهما، في حين راح (إدوارد) يخور كثور جريح، ونهض (سيد) محنقًا، يحاول إيقاف النزيف الدموي، المنهمر من أنفه، وهو يقول:

- اللعنة!.. ماذا فعلت بي؟

أجابته (غادة) في سخرية:

- إنَّها لعبة طريفة يا رجل، فلقد توقَّع (نديم) حدوث محاولة هجوم ذات مرة، فزود إطار الباب بإسطوانة صغيرة، تحمل تلك العبارة التي سمعتموها، ويمكن تشغيلها بزر صغير في إطار مكتبه.. ما رأيك؟.. أليس هذا دليلًا على الذكاء والعبقرية، وبُعد النظر إلى الأمور؟

هتف (سيد) في حنق:

- ولكن هذا لن يجدي، فلن يمكنكما أبدًا إثبات أنَّنا حاولنا أن...

قاطعه (نديم) في برود:

- اطمئن أيُّها الوغد.. إنَّنا لن نحاول ذلك أبدًا، فلقد وعينا الدرس، وقررنا أن نلعب اللعبة بقواعدكم أنتم.

غمغم (سيد) في قلق وتوتر:

- ماذا تعني؟

أجابه في هدوء:

- أعني أنَّنا لن نبلغ الشرطة هذه المرة.

تطلَّع إليه الرجال في دهشة وحذر، فاستدرك:

- ولن نطلق سراحكم في الوقت ذاته.

قفز إلى أذهانهم احتمال دموي مخيف، لولا أن أضاف هو في حزم:

- سنحتفظ بكم هنا، حتى مساء الجمعة.. أي ليومين فحسب.

بدأ (سيد) يتوتر في شدة، وهو يقول على نحو عصبي:

- لن يمكنك هذا.

قال (نديم) في برود مخيف:

- هل تراهن؟

حاول (سيد) أن يلجأ إلى الخداع، فقال في حِدَّةٍ:

- أتظن أنَّ الأمور ستسير على هذا النحو الهين؟.. إنَّ الزعيم يعلم أين نحن، وهو لن يسمح.

قاطعه (نديم):

- محاولة فاشلة أيُّها الوغد، فلقد قلت بنفسك – منذ قليل – إنَّك تريد أن تفاجئ زعيمك بالأمر، وإنَّه لن يتوقع أبدًا كوني (العقرب)، وهذا يعني أنَّه لا يعلم حتى أين أنت الآن.

بدت المرارة ممتزجة بخيبة الأمل، على وجه (سيد)، حين أضاف (نديم) في حزمٍ رجلٍ لم يعتد الهزيمة:

- اطمئن.. سنحتفظ بكم سالمين، حتى ليل الجمعة، وبعدها سيكون على الشرطة الرسمية أن تتولى أمركم.. وأمر زعيمكم.

وصمت وهلة، قبل أن يضيف في صرامة:

- لقد حانت الجولة الأخيرة أيُّها الأوغاد.. جولة (العقرب)..

***

غادر وزير الداخلية مكتبه، وراح يقطع الممر الطويل لذلك الطابق، في خطوات سريعة كالمعتاد، حتى استوقفه ضابط برتبة عقيد، وهو يقول في توتر:

- لحظة يا سيادة الوزير.

التفت إليه الوزير، وتوقف يسأله في صرامة:

- ماذا تريد أيُّها العقيد؟

أجابه العقيد (مجدي) في عصبية واضحة:

- أريد أمر اعتقال رجل.

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يسأله:

- أي رجل؟.. أهو سياسي مشاغب، أم متعصب، أم...

قاطعه (مجدي):

- بل هو رجل يتحدى القانون يا سيدي.

رفع الوزير حاجبيه في دهشة، مُردِّدًا:

- يتحدَّى القانون؟

ثم عاد يعقد الحاجبين، مستطردًا في غضب وصرامة:

- ومَن ذا الذي جرؤ على تحدي القانون؟

أجابه (مجدي) بنفس العصبية:

- (العقرب) يا سيدي.

حدَّق الوزير في وجهه بدهشة، ثم قال في حيرة:

- ألم تؤكد أنت ورؤسائك، في تقريركم عن هذا الشأن، أنَّكم تجهلون تمامًا شخصية ذلك المقنع.

أجابه (مجدي) في لهفة:

- لقد عرفته يا سيدي.

هتف الوزير:

- ولماذا أمر الاعتقال إذن؟.. ألق القبض عليه فورًا.

تنحنح (مجدي)، وهو يقول:

- المشكلة أنَّني لا أملك دليلًا رسميًّا، و...

قاطعه الوزير:

- حسنًا.. مَن هو ذلك (العقرب)؟

اعتدل (مجدي)، وتنحنح في شدة، وقال في حزم:

- إنَّه (نديم) يا سيدي.. (نديم فوزي).

عاد الوزير يعقد حاجبيه للمرة الثالثة، وهو يقول:

- (نديم فوزي)؟!.. أليس هذا هو ضابط الشرطة الذي...؟

قاطعه (مجدي) في لهفة عجيبة:

- نعم.. إنَّه هو الذي فصلتَه يا سيادة الوزير.

تطلَّع الوزير إلى (مجدي) في شكٍّ، وقد بدت له تلك اللهفة الزائدة إشارة إلى أنَّ (مجدي) يعالج الأمر بانفعال شخصي، أو أنَّه يضمر روحًا انتقامية لـ(نديم) هذا، فقال في حزم:

- حسنًا.. الأمر يحتاج إلى بعض الدراسة.

هتف (مجدي) مستنكرًا:

- ولكن يا سيدي.

قال الوزير في صرامة:

- قلت لك الأمر يحتاج إلى دراسة.. إنَّه أمر اعتقال.

ثم واصل انصرافه بنفس خطواته الواسعة وتاركًا (مجدي) خلفه يقول في غيظ:

- فليكن أيُّها (العقرب).. سأحتمل الانتظار هذه المرة، وبعدها سأسحقك سحقًا.. هذا هو الاحتمال الوحيد لنهايتك..

***

-١٩-

يوم المعركة..

لم تكد تشرق شمس الجمعة، حتى بدا (نعمان والي) شديد التوتر والعصبية، حتى أنَّه راح يسب كل من حوله، بغض النظر عن استجابتهم وخدماتهم له من عدمها..

وبكل ثورته وقلقه، إزاء تلك الصفقة، التي تنتظره في المساء، راح يصرخ:

- أين (سيد)؟.. أين ذلك الحقير؟.. لماذا لم أر وجهه منذ أمس الأول؟

أجابه رئيس خدمه في حذر:

- ربما سافر إلى (الإسكندرية) يا سيدي، فرجال ملهاه الليلي، يقولون إنَّه قد اصطحب معه ثلاثة رجال وانصرف منذ مساء الأربعاء.

ضرب (نعمان) مائدة الإفطار بقبضته في حنق، وهو يقول:

- ذلك الغبي الحقير.. كيف يسافر دون المرور على القصر؟.. كيف؟

كان يعلم أن ثورته ليس لها ما يبررها، وأنَّ (سيد) قد اعتاد إتمام كل الصفقات الكبيرة بنفسه، دون الرجوع إليه، وأنَّه يعلم جيدًا موعد ومكان إتمام صفقة الليلة، ولكن شعوره بأنَّ هذه الصفقة تمثل نقطة تحول هائلة في حياته، كان يبعث في عروقه رجفة مخيفة..

إنَّه، لو نجحت هذه الصفقة فسيصبح واحدًا من أثرياء العالم المعدودين، الذي يمكنهم تحريك اقتصاديات دول كاملة..

أما لو فشلت فستدمره تدميرًا..

والاحتمالان يرجفان مشاعره تمامًا..

ثم إنَّه يعتبر هذه الصفقة الكبرى نهاية لعمله في تجارة المخدرات..

لقد أعدَّ عدته ليجعل منها كذلك..

لقد ابتاع قصرًا في (سويسرا)، ويستعد لبناء مصنع ضخم هناك..

وسيترك كل أتباعه خلفه..

وبخاصة (سيد) اللعين هذا..

سيترك (مصر) كلها، ويبدأ هناك حياة جديدة نظيفة..

تضاعف توتره، عندما تذكَّر (العقرب)، وإصراره على تحطيم حياته، إلا أنَّه لم يلبث أن هزَّ رأسه في قوة، قائلًا:

- لا.. ليس لذلك (العقرب) شأن هذه المرة..

ولم يدرك لحظتها أن لـ(العقرب) شأنًا كبيرًا الليلة..

إنَّها ليلته..

***

على عكس (نعمان)، بدا (دافيد) شديد المرح، وهو يغادر مبنى سفارته، ويدلف إلى سيارته الفارهة الأنيقة، التي يندر وجود مثلها في (مصر)..

إنَّ مخطط دولته يسير على نحو ممتاز..

لقد انتقى (نعمان والي) بالذات، وراح يمده بالمخدرات طيلة أعوام، وصنع منه واحدًا من أقوى تجار المخدرات في الشرق، ليدمر بواسطته شباب (مصر)، ويدفعهم إلى الغرق في نهر من السموم..

وبعد أعوام قليلة، ستكون (مصر) قد انهارت داخليًا، وتكون دولته هي الأقوى بلا منازع، في الشرق الأوسط كله..

راح يطلق من بين شفتيه صفيرًا مرحًا منغومًا، وهو يقود سيارته مبتعدًا عن السفارة، ومال جانبًا بالسيارة، في شارع ضيق، عندما تجمَّدت عيناه بغتة، وتسمَّرت قدماه على عجلة القيادة في توتر عصبي..

لقد رأى في مرآة سيارته شبحًا يتشح بالسواد، ويخفي

وجهه بقناع أسود، وقد برز من المقعد الخلفي، وصوب إلى رأسه مسدسًا، وهو يقول في صرامة:

- لا تتوقف أيُّها الوغد.. انطلق..

أطاعه (دافيد) في استسلام، وهو يقول بالإنجليزية:

- ماذا تقول يا سيد؟!.. لستُ أفهمك..

قال (العقرب) في صرامة:

- بل تفهم، فلدي تسجيل لك، يؤكِّد أنَّك تتحدث العربية كأهلها.

كان من الواضح أنَّ ذلك المقنع يعلم عنه الكثير؛ لذا فقد تخلَّى (دافيد) عن التظاهر بجهل اللغة العربية، وقال بها مباشرة:

- ماذا تريد مني؟.. ومَن أنت؟

ألصق (العقرب) فوهة المسدس بمؤخرة عنق (دافيد)، وهو

يقول في صرامة:

- ليس من حقِّك أن تلقي أية أسئلة.. انطلق إلى حيث سأرشدك فحسب.

سأله (دافيد) في توتر:

- هل تريد مالًا؟

أجابه (العقرب)؟

- بل أريدك أنت.

ارتجف (دافيد)، وهو يقول في هلع:

- هل ستقتلني؟!

أجابه (العقرب) في برود:

- لا أيُّها الوغد، سأحتفظ بك فحسب، فأنا أريد الساحة خالية الليلة، وأنا أواجه خصمي اللدود.. والآن انطلق، فأنت

أحد خطوات الخطة..

وبدا شديد الصرامة، وهو يستطرد:

- خطة (العقرب)..

***

مع اقتراب الوقت، راحت عصبية (نعمان) تتضاعف، حتى أنَّه لم يحاول مغادرة قصره، بل فضَّل البقاء فيه حتى تصله مكالمة هاتفية، تخبره بنجاح الخطة، وعلى الرغم من أنَّ المساء لم يكن قد حان بعد، إلا أنَّه لم يكد يسمع رنين هاتفه الخاص، حتى قفز يختطف سماعته ووضعها على أذنه، هاتفًا:

- هنا (نعمان والي)، مَن المتحدث؟

أتاه صوت أثار الرجفة في أوصاله، وهو يقول:

- العقرب.

شحب وجه (نعمان)، وهو يغمغم:

- (العقرب)؟!

أجابه صوت (نديم) الصارم:

- نعم يا عزيزي .. أنا (العقرب).. لقد اتصلت بك لأخبرك أنَّني أعلم كل ما سيتم الليلة.

هوى قلب (نعمان) بين ضلوعه، وهو يقول بصوتٍ مرتجفٍ:

- أنت مخادع.

أجاب (العقرب):

- أخطأت الاستنتاج هذه المرة يا رجل.. هل تذكر زميلتي، التي تشبثت بياقة سترتك، ليلة حفل السفارة؟.. لقد دسَّت في ياقتك جهاز نقل صوتي بالغ الدقة، نقل إليَّ حديثك مع ذلك الوغد (دافيد)، وموعد إتمام صفقة عمرك.

تحولت كل مخاوف (نعمان) وعصبيته إلى صرخة هادرة:

- أنت كاذب.

ولكن صوت (العقرب) أتاه هادئًا واثقًا، وهو يقول:

- لا تتسرع، اصعد أولًا إلى حجرتك، وستجد الجهاز خلف ياقة السترة اللامعة.

انهار (نعمان) تمامًا، و(نديم) يستطرد:

- إنَّها نهايتك أيُّها الوغد.

لم يرفع (نعمان) السماعة عن أذنه لحظات، حتى بعد أن انتهت المحادثة، وراح الهاتف ينقل إليه ذلك الصوت الرتيب، الذي ينشأ من هاتف شاغر، ثم لم يلبث أن ألقى السماعة في ثورة، هاتفًا:

- مستحيل!..

وانطلق يعدو إلى حجرته الخاصة، وانتزع السترة ذات الياقات اللامعة من الصيوان، وقلب ياقتها في عنف، ثم تجمدت أطرافه، واتسعت عيناه في ذهول..

لقد كان الناقل الصوتي يستقر مثبتًا خلفها، بواسطة لاصق بسيط..

وترنح (نعمان)، وكاد يهوي أرضًا..

لقد انتهى كل شيء..

فسدت صفقة العمر..

خسر حياته وثروته وسطوته..

خسر كل شيء..

ثم امتلأت عروقه بغتة بحزمٍ مفاجئ..

لا.. لم يخسر كل شيء بعد.

قفز يلتقط سماعة الهاتف، وراح يطلب رقم (سيد) عشرات المرات، ثم طلب السفارة الأجنبية، فأخبروه أن (دافيد) لم يعد منذ الصباح..

وراحت عروق (نعمان) تنبض في عنفٍ..

لا بد من إلغاء الصفقة، قبل أن يضبطها رجال الشرطة..

لا بد من محاولة إنقاذ ثروته..

ولكن كيف؟..

إنَّه لا يجد (سيد) ولا (دافيد)، وما من سواه يستطيع إيقاف الصفقة..

وهنا برقت عيناه في حزم وعزم، وهتف:

- سأوقفها أنا.

واختطف سترته، وانطلق إلى الخارج، مستطردًا:

- لن يحطمني ذلك (العقرب) أبدًا.

ولم يدرك لحظتها أنَّه يفعل بالضبط ما ينشده غريمه، وأنَّه ينفذ الخطة دون وعي..

خطة (العقرب)..

***

-٢٠-

مَن يربح؟..

هتفت (غادة) في إعجابٍ، وهي تجلس في سيارة (نديم)، على جانب الطريق، في ركنٍ يطلُّ على قصر (نعمان):

- يا إلهي!!..لقد انطلق (نعمان) بسيارته بالفعل، وشكله وسرعته يوحيان بأنَّه ينطلق نحو (العجمي)، في محاولة لمنع إتمام الصفقة، كيف أمكنك أن تثق في أنَّه سيفعل ذلك؟

أجابها (نديم) في هدوء:

- لم يكن أمامه حلٌّ بديلٌ.

ثم أضاف وهو يطلب رقمًا آخر، من هاتف سيارته:

- إنَّها أخطر صفقة عقدها في حياته، ولقد خاطر فيها بكل ثروته، ومن الطبيعي أنَّه لن يمنح العديدين سلطة اتخاذ القرار فيها، وهذا يعني أنَّ إلغاء الصفقة، وهذا ما صار أمرًا

حتميًّا، بعد أن أدرك أن عدوه اللدود قد كشف سرها، لا يمكن أن يتم إلا بواسطة ثلاثة، هو، أو (سيد) ذراعه الأيمن، أو (دافيد)، ونحن نحتفظ بالثاني والثالث، فلن يوجد إذن سواه، ولن يكون أمامه سوى أن يخاطر بإقحام نفسه لأول مرة، في عملية من عملياته، أو يخسر كل ما بناه في عمره كله.. ماذا تفعلين لو كنت مكانه؟

قبل أن تجيب، كان قد بدأ محادثاته الهاتفية، قائلًا:

- صباح الخير يا سيادة وزير الداخلية.. لا.. لستُ أحد رجالك.. لقد اتصلتُ بك في منزلك، لأبلغك بأمر صفقة مخدرات ضخمة، ستتم بعد ساعات، على بُعد عشرين كيلو مترًا شرقي (العجمي).. نعم يا سيادة الوزير.. أعلم تمامًا أنَّه كان ينبغي أن أتصل برجال مكافحة المخدرات، ولكن هذه الصفقة كانت تحتاج إليك شخصيًّا؛ لأنَّ صاحبها يحوز حصانة قانونية خاصة.. نعم.. إنَّه (نعمان والي)، عضو مجلس الشعب.. أتريد حقًّا معرفة من أنا؟.. لا بأس يا سيدي.. أنا (العقرب).

قالها وأنهى المحادثة في هدوءٍ، ثم التفت إلى (غادة)، قائلًا:

- أتظنين أنَّ هذا يكفي؟

هتفت ضاحكة:

- يكفي؟!.. أراهنك أن الوزير قد انطلق إلى مكتبه الآن، وأنَّ إدارة الأمن كلها ستشتعل توترًا وحماسًا، حتى صباح الغد على الأقل..

رفع سبابته أمام وجهه، وهو يقول:

- ولكن هذا لا يعني أنَّنا قد ربحنا المعركة.

والتقط قناعه من حقيبته، مستطردًا:

- بقيت خطوة واحدة.. الخطوة الحاسمة..

تطلَّع (مجدي) في غيظٍ، إلى باب مكتب (نديم) المغلق، وهتف محنقًا، وهو يلهث:

- اللعنة!.. أبعد أن أصعد خمسة طوابق على قدمي، لتلف ذلك المصعد اللعين، أجد المكتب مغلقًا؟!

توقف لحظات يلهث في صمت، أمام الباب المغلق، ثم غمغم كمن يتشبث بأمل أخير:

- ربما أنَّهما هنا.. من يدري؟

طرق الباب عدة طرقات، ودق الجرس مرتين، ثم زفر في يأس، متمتمًا:

- لا.. لا داعي لأن أخدع نفسي.. لا أحد هنا.

استدار لينصرف، لولا أن تناهى إلى مسامعه بغتة صوت مكتوم، يأتي من خلف باب المكتب المغلق، فعاد يلتفت إليه هاتفًا في انفعال:

- هناك شخص ما.. أراهن بحياتي على هذا.

طرق الباب مرة أخرى في عنف، فتصاعد الصياح المكتوم، دون أن يفتح أحدهم الباب، فهتف (مجدي)، وهو يتراجع مخرجًا مسدسه:

- الأمر يستحق الهجوم حقًّا.

اندفع نحو الباب، وحطمه بضربة قوية من كتفه، وقفز إلى داخل المكتب شاهرًا مسدسه، وبدا له أنَّ الصوت المكتوم يأتي من خلف باب حجرة (غادة)، فأسرع يفتحه، هاتفًا:

- مَن الذي...؟

تجمَّدت الكلمات في حلقه، واتسعت عيناه ذهولًا، وهو يحدِّق في خمسة رجال، اصطفوا على أرض الحجرة، التي أُخلِي أثاثُها، وقد تم تقييد أيديهم خلف ظهورهم، وأقدامهم، وتكميم أفواههم..

وفي دهشة، حلَّ (مجدي) كمامة (دافيد)، وهو يسأله:

- من أنتم؟.. وماذا تفعلون هنا؟

هتف (دافيد) في سخط وتوتر:

- إنَّني أحد رعايا دولة أجنبية، ولقد اختطفني رجل مقنع، وأتى بي إلى هنا.. سأشكوكم لمجلس الأمن، والأمم المتحدة،

و...

قاطعه (مجدي) هاتفًا:

- رجل مقنع؟!.. أهو (العقرب)؟!

لوح (دافيد) بكفِّه في حنق، وهو يهتف:

- إنَّه لم يخبرني اسمه بالطبع.

هتف (مجدي) في لهفة:

- ولكنه صاحب هذا المكتب.. أليس كذلك؟

قلب (دافيد) كفيه معلنًا عجزه عن إتيان الجواب، في حين راح (سيد) يتقافز في قيوده، ويطلق صرخات مكتومة، من خلف كمامته، فانحنى (مجدي) ينزع الكمامة في حركة حادة، ولم يكد يفعل حتى هتف (سيد):

- إنَّه هو.. إنَّه (العقرب).. هو نفسه (نديم فوزي).

اختلجت كل عضلة في جسد (مجدي)، وهو يهتف:

- كنتُ أعلم هذا، كنت واثقًا منه.

وأطلق ضحكة عصبية عالية، قبل أن يستطرد:

- لقد ارتكب خطأً قانونيًّا هذه المرة.. لقد احتجز خمسة رجال دون وجه حق، وبينهم واحد من رعايا دولة أجنبية.. لقد وقع هذه المرة.

ثم أمسك كتفي (سيد)، وهزه في قوة، وهو يهتف:

- إنَّكم ستشهدون بما فعل.. ستفعلون هذا.. أليس كذلك؟

أجابه (سيد) في مزيج من اللهفة والحماس والشماتة:

- بالطبع.. إنَّنا سنفعل هذا دون تردد.

تألقت عينا (مجدي) ببريق ظافر، وهو يقول في شماتة واضحة:

- رائع.. إنَّه المسمار الأول في نعشك.

ثم استطرد في مرح عصبي:

- أيُّها (العقرب).

***

انطلق (نعمان والي) بسيارته كالصاروخ، غير مبال بقوانين السرعة، وقد امتلأ عقله بفكرة واحدة..

بضرورة وصوله إلى (العجمي) بأقصى سرعة ممكنة، قبل أن يخسر كل شيء..

كان يعلم أنَّه يخاطر بالذهاب إلى حيث الصفقة، ولكنه كان كما قال (نديم) تمامًا، لم يعد لديه ما يخسره..

وبينما تنطلق سيارته، راح عقله يرتب وسيلة للنجاة..

إنَّ (العقرب) يعرف موعد الصفقة، ولكنه لا يعلم أنَّ اليخت نفسه يستقر في موضعه في هدوء، مع تصريحٍ خاصٍّ، حصل

هو بنفسه عليه، من قائد حرس السواحل شخصيًّا، دون أن يدري هذا الأخير أنَّ قاع اليخت يحوي فجوة سرية، يتم فيها تخزين كمية الهيروين كلها..

إنَّه - لو استطاع الوصول في موعد مناسب - فسيمنع إتمام الصفقة، وبالتالي لن يتهمه مخلوق واحد بمعرفة أمرها..

بل لن يمكنهم حتى إلقاء القبض عليه..

القانون يمنعهم من هذا، إلا في حالة التلبس الصحيح..

إنَّه يملك حصانة قانونية..

وسيستغل هذا إلى أقصى درجة..

ولم يكد يعبر مدخل (الإسكندرية)، حتى تضاعف توتره، وشعر لأول مرة بحنق شديد على ازدحام المرور والمواصلات، وبات شديد العصبية، يسب ويلعن كل من يعترض طريقه، حتى أنَّه لم يكد يبلغ طريق (العجمي)، حتى عاد ينطلق بكل سرعته، وقد بلغ توتر أعصابه أقصاه..

وعندما بلغ الموضع المنشود، على بُعد عشرين كيلو مترًا من (العجمي)، كان قد احترق تمامًا، ولم يكد يلمح قائد اليخت، وهو يقف إلى جوار زورق مطاطي، عند الشاطئ، حتى أوقف سيارته في حِدَّةٍ، وهتف بهم حنقًا:

- ماذا تفعل هنا أيُّها الأحمق؟.. إنَّ موعد إتمام الصفقة لم يحن بعدا!

تطلَّع إليه قائد اليخت في دهشة، وقال في حيرة:

- ولكن هذه هي الأوامر يا سيدي.. لقد اتصل بي شخص ما، على الموجة الخاصة، وأبلغني كلمة السر، ثم أخبرني أنَّ موعد التسليم قد تقدم ساعتين كاملتين، وطلب مني إحضار عينة من البضاعة إلى الشاطئ، ولما كنتَ أنتَ ومستر (دافيد) وحدكما تعرفان كلمة السر، فقد افترضت أنَّ أحدكما صاحب الأمر، وأطعته بلا مناقشة.

شحب وجه (نعمان) في شدة، وقد أدرك الفخ الذي وقع فيه..

لقد أعدَّ (العقرب) خطته في براعة منقطعة النظير..

لهذا لم يعثر على (دافيد) في سفارته..

لقد أوقع به (العقرب) حتمًا، وأجبره على البوح بكل ما لديه..

وها هو ذا (نعمان والي) يجد نفسه في موقف يبيح للشرطة إلقاء القبض عليه، على الرغم من حصانته..

في حالة تلبس..

لقد أتقن (العقرب) اللعبة بحق..

وفجأة، قفز (نعمان) داخل سيارته، وهو يهتف:

- عد إلى اليخت بسرعة.

ارتبك قائد اليخت، وهو يقول في توتر:

- لماذا؟.. ماذا حدث؟

قبل أن يجيب (نعمان)، كان قائد اليخت قد أدرك الحقيقة..

أدركها عندما برز رجال الشرطة من كل جانب، وارتفع صوت وزير الداخلية نفسه، وهو يقول في صرامة:

- لقد انكشف أمركما.. استسلما أو...

ودون وعي، اعتصر (نعمان) دواسة وقود سيارته بقدمه..

وانطلق..

***

-٢١-

الجولة الأخيرة..

كانت مبادرة (نعمان) مباغتة حقًّا لرجال الشرطة، الذين اعتادوا أن يستسلم المجرم عادة، عندما يفاجأ بكمين غير متوقع، إلا أنَّ هذا لم يمنعهم من أن يطلقوا رصاصات أسلحتهم خلف سيارة (نعمان)، الذي انطلق في مسار متعرج، وتجاوز الحصار كالبرق، وانطلق مبتعدًا، مثيرًا خلفه عاصفة من الغبار..

وهتف أحد ضباط الكمين:

- لقد خدعنا ذلك الوغد.

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يقول في حزم:

- لن يفلت، ولن يذهب بعيدًا.. لقد عرفته.. إنَّه (نعمان والي)، الثري المعروف، ولقد التقطت رقم سيارته، وسأبلغها لكل نقاط المرور في (مصر).

قال الضابط في تردِّد:

- ولكننا لم نلق القبض عليه متلبسًا، و...

قاطعه الوزير:

- أتظنني أشارك في هذه الحملة بنفسي عبثًا؟!.. إنَّ القانون يحتم ضبط أصحاب الحصانة في حالة تلبس، ولكنها ليست الحالة الوحيدة التي يمكنها إلقاء القبض عليهم فيها.

ثم التفت إلى ضابط آخر، واستطرد في صرامة:

- اطلب من جندي الاتصال أن يصلني بالخط الساخن.

واعتدل مردفًا:

- بالسيد رئيس الجمهورية مباشرة.

***

لم ينطلق (نعمان) إلى (القاهرة) على الفور، بل عرج على

فيلا أنيقة، على شاطئ (العجمي)، وأخفى سيارته داخل (جراج) خاص بها، ثم استقل سيارة أخرى، من طراز ولون مختلفين، وانطلق بها في توتر بالغ، وهو يقول لنفسه:

- إنَّك في موقف لا تحسد عليه حقًّا يا (نعمان)، ولكن عزاءك الوحيد هو أنَّهم لم يضبطوك متلبسًا.. إنَّك بهذه النقطة فقط تستطيع أن تنجو.. سأعود إلى (القاهرة)، وسيشهد كل رجالي أنَّني لم أغادر القصر لحظة واحدة هذا المساء، وسيتصور الجميع أنَّه شخص آخر ينتحل شخصيتي، و...

وراح يعد خطته الدفاعية طيلة الطريق، إلا أنَّه لم يكد يبلغ قصره، بعد ساعتين كاملتين، حتى قال له حارس البوابة في توتر:

- سيدي.. هناك لواء شرطة يُدعى اللواء (حلمي)، ينتظرك في الداخل، مع بعض رجال الشرطة.

حدَّق (نعمان) في وجه الرجل ذاهلًا، وردَّد:

- لواء شرطة.

ثم عاودته طبيعته الذئبية، فسأل الرجل في سرعة:

- ماذا أخبرتهم عني؟

أجابه الحارس مرتبكًا:

- لم أخبرهم شيئًا يا سيدي.. فقط سمحت لهم بالدخول.

هتف (نعمان) في حنق:

- حسنًا.. سأرى ماذا يريدون؟

انطلق إلى الداخل، وعبر حديقة القصر الضخمة، وقلبه ينبض في توتر، وراح يعدل خطته، ويبحث عن تبرير لخروجه، حتى بلغ القصر، فاستقبله اللواء (حلمي) بابتسامة واسعة، وهو يقول:

- مرحبًا يا سيد (نعمان).. إنَّنا ننتظرك منذ فترة طويلة.

قال (نعمان) في خشونة، ولَّدها توتره:

- وماذا تريدون؟

هزَّ (حلمي) كتفيه، وقال في لهجة لم تخفِ شماتته وسخريته:

- ماذا تريد أنت يا سيد (نعمان)؟.. محاميًا؟

صاح (نعمان) في غضب:

- كيف تتحدَّث إليَّ بهذه اللهجة أيُّها اللواء؟.. إنَّني عضو مجلس شعب، وأحمل حصانة قانونية و...

قاطعه (حلمي) في حزم:

- إنَّنا هنا بناءً على أمر من السيد رئيس الجمهورية، وبموافقة السيد رئيس مجلس الشعب وبتصريح خاص من النائب العام.

بهت (نعمان)، واتسعت عيناه في ذهول، وهو يتمتم:

- كل هؤلاء؟!

ثم لم يلبث أن استعاد رباطة جأشه في سرعة، وأضاف:

- فليكن.. إنَّكم لن تجدوا شيئًا هنا.

اتسعت ابتسامة اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالطبع.. إنَّنا لن نجد شيئًا.

بدأ الارتياح يرتسم على وجه (نعمان)، لولا أن استدرك اللواء (حلمي) في حزم مباغت:

- لأنَّنا قد وجدنا ما نحتاج إليه بالفعل.. كيلو جرامين من الهيروين النقي، أسفل فراشك الخاص يا (نعمان).

كان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمل (نعمان)..

لقد أجاد (العقرب) اللعبة حقًّا..

أجادها أكثر مما تصوَّر هو بكثير..

الآن فقط فهم (نعمان) لماذا سرق (العقرب) الهيروين من

فيلا المقطم!..

الآن فقط أدرك أنَّه يواجه ثعلبًا وثعبانًا، وليس عقربًا فحسب..

وفي هذه المرة لم يحاول (نعمان) أن يقاتل..

لقد انهار..

انهار تمامًا..

وربح (العقرب) الجولة الأخيرة..

***

-٢٢-

سيف العدالة..

عبر وزير الداخلية بوابة مديرية الأمن بخطواته الواسعة كالمعتاد، وراح الجميع يهرعون إليه، وهم الذين لم يعتادوا زيارته، في مثل هذا الوقت المتأخر، وهتف به مدير الأمن:

- سيادة الوزير؟!.. يا لها من زيارة مفاجئة، و...!!.

قاطعه الوزير:

- أستعدُ الليلة لاستقبال مجرم بالغ الخطورة، أريد منكم أن تبدأوا تحرياتكم معه على الفور، فالسيد رئيس الجمهورية يريد نتائج واضحة صباح الغد.

شعر مدير الأمن بالرهبة، عندما ورد اسم رئيس الجمهورية، وتمتم:

- أهو مجرم خطير إلى هذا الحد يا سيادة الوزير؟

أجابه الوزير في اقتضاب:

- إنَّه (نعمان والي).

شهق مدير الأمن في دهشة، ثم لم يلبث أن قال في حزم:

- سأتخذ كل الإجراءات اللازمة يا سيدي.

ارتفع في هذه اللحظة صوت (مجدي)، وهو يهتف:

- سيادة الوزير؟.. يا لها من مصادفة سعيدة!.. لقد أتيت بالدليل.

التفت إليه الوزير، يسأله في دهشة:

- أي دليل؟

أجابه (مجدي) في سعادة:

- الدليل على أن (نديم فوزي) هو (العقرب).. لقد احتجز خمسة رجال في مكتبه، و...

قاطعه الوزير في حسم:

- مَن هؤلاء الرجال؟

أجابه (مجدي) في سرعة:

- لقد احتجز (سيد)، الذراع الأيمن لـ(نعمان والي)، وحارسه (إدوارد)، ومواطنًا من رعايا دولة أجنبية يُدعى (دافيد)، و...

هتف الوزير:

- وهل ستعتمد على شهادة هؤلاء الأوغاد؟

غمغم (مجدي) في دهشة:

- أوغاد؟!

أجابه الوزير في حِدَّةٍ:

- نعم.. أوغاد ولصوص.. لقد ألقينا القبض منذ قليل على

(نعمان والي) نفسه، ولقد اعترف باشتراك كل هؤلاء معه في الاتجار بالمخدرات، ومن حسن الحظ أنَّهم هنا، فلقد أصدرت قرارًا بإلقاء القبض عليهم، وأصدر رئيس الجمهورية قرارًا بطرد (دافيد) هذا من البلاد؛ نظرًا لأنَّه يملك حصانة دبلوماسية خاصة..

بقي (مجدي) فاغرًا فاه لحظات، ثم قال في توتر:

- ولكن (نديم) هو(العقرب) يا سيدي، حتى مع هذه الظروف، و...

قاطعه الوزير مرة أخرى:

- دعك من أمر (العقرب) هذا الآن.. إنَّنا أمام قضية ضخمة، ثم إنَّ قاضيًا واحدًا لن يصدق كلمة واحدة منهم، عندما يعلم أنَّهم مجرد تجار مخدرات أوغاد.. هل تفهم؟

أطرق (مجدي) برأسه، وهو يقول في مرارة:

- نعم يا سيدي.. أفهم.

وظلَّ صامتًا، حتى ابتعد الوزير، ثم استطرد في حقد:

- ولكن معركتي معك لم تنته بعد يا (نديم)، ولن تنتهي حتى أثبت للجميع أنَّك العقرب.. لم تنته المعركة بعد..

***

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة واسعة، وهو يدلف إلى مكتب (نديم)، في الصباح التالي، ونهض (نديم) يستقبله في حرارة، قائلًا:

- صباح الخير يا سيدي.. مرحبًا بك في مكتبي.

صافحه (حلمي) في قوة، وهو يملأ عينيه بوجهه لحظات، قبل أن يقول:

- قرأت صحف الصباح؟

أطلقت (غادة) ضحكة مرحة، وهي تقول:

- بالطبع.. لقد قرأنا كل كلمة فيها، لو أنَّك تقصد ما يتعلق

بـ(نعمان والي).

وقال (نديم) في هدوء كعادته:

- لقد وقع ذلك الوغد أخيرًا.

جلس (حلمي)، وهو يبتسم قائلًا:

- لقد ذكرت الصحف كل التفاصيل، ولكنها لم تشر إلى البطل الحقيقي، بعد أن أخفى الجميع دوره.

ابتسمت (غادة) في فرحٍ، في حين سأله (نديم) في هدوء:

- ومَن هو هذا البطل الحقيقي؟

تأمله (حلمي) لحظات أخرى، ثم قال في إعجابٍ واضحٍ:

- العقرب.

ثم أضاف في سرعة:

- هو وحده قام بالعمل كله، وهو الذي حطَّم صرح (نعمان والي)، الذي تصوَّر الجميع أنَّه لن يسقط إلا بمعجزة.

والتفت إلى (غادة)، واستطرد في حنان:

- ليس وحده تمامًا بالطبع.

ضحكت (غادة) في حياءٍ، وقالت:

- الواقع أنَّ (العقرب) هذا عبقري.

ضحك (حلمي) بدوره، وهو يقول:

- بالتأكيد، ولكنه وقع في خطأ واحد.

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يسأله في اهتمام:

- أي خطأ هذا؟

أخرج (حلمي) من جيبه بطاقة بيضاء أنيقة، تحمل في منتصفها رسمًا لعقرب ذهبي، وقال وهو يبتسم:

- لقد وضع بطاقته فوق الهيروين، الذي عثرنا عليه في منزل (نعمان)، والذي يعد أقوى دليل اتهام ضد هذا الأخير، ولقد كان من الممكن أن يستغل (نعمان) هذا، ليدعي أنَّ (العقرب) هو الذي دسَّ له الهيروين.. أليس كذلك؟

بدا الضيق على وجه (نديم)، وهو يقول:

- بلى.. أنت على حق يا سيدي.

لوَّح (حلمي) بكفه، وقال وهو يبتسم:

- من حسن الحظ أنَّني قد أخفيت البطاقة، قبل أن ينتبه إليها أحد، وإلا فسدت العملية كلها.

ثم نهض، وهو يضع البطاقة أمام (نديم)، قائلًا:

- أخبره ألَّا يقع في هذا الخطأ مرة أخرى.

ابتسم (نديم)، وهو يقول:

- سأفعل.

هتفت (غادة):

- يا إلهي!.. إنَّك تبتسم يا (نديم).. هذه هي المعجزة الحقة.

التفت إليها، واتسعت ابتسامته، وهو يقول:

- مَن ذا الذي لا يبتسم، أمام حسنك وفتنتك؟

حدقت في وجهه مبهوتة، ثم ارتفع حاجباها في حنان، وهي تهمس في حب:

- أحقًّا؟!

نقل اللواء (حلمي) بصره بينهما في حنان، وقال:

- يبدو أنَّه من الأفضل أن أنصرف أنا.

أسرع يضع اقتراحه موضع التنفيذ، و(غادة) تقول لـ(نديم) في حبٍّ واضحٍ:

- أتعلم أنَّك أكثر وسامة عندما تبتسم؟

أجابها وقد استعاد رصانته وهدوءه:

- ربما، ولكنني أشعر الآن فقط أن لحظة ميلادي الحقيقة قد أتت، وأنَّ (العقرب) قد أعلن عن وجوده كمحارب للجريمة.

وشرد ببصره، مستطردًا في نشوة:

- ولن يتوقف عن محاربتها أبدًا..

***

جلس (نعمان) في زنزانة الحبس الاحتياطي منهارًا، بعد أن ضاع كل ما فعله طيلة عمره، وانهمرت الدموع من عينيه أمام رجاله، الذي مادت بهم الأرض بدورهم، عندما خسروا كل شيء..

وفجأة تراجع (نعمان)، هاتفًا في رعب:

- (العقرب).. (العقرب).

رفع (سيد) عينيه إليه في دهشة، مغمغمًا:

- أين هو؟.. إنَّنا في زنزانة مغلقة أيُّها الزعيم.

صرخ (نعمان)، وهو يلوح بيده في ذعر:

- إنَّه هناك، عند النافذة، انظروا.. إنَّه يبتسم لي ساخرًا.. إنَّه يسخر مني، بعد أن هزمني.. انظروا.

تطلَّع الرجال في حيرة إلى النافذة الخالية، ثم غمغم (سيد) في حنق:

- لقد فقد الرجل عقله.

غمغم (إدوارد) في مرارة:

- لعل هذا هو أفضل ما يحدث له، فلن يشعر بما ينتظرنا من مصير مظلم على الأقل..

وراح (نعمان) يصرخ:

- (العقرب)!! (العقرب)!! أبعدوه.. أنقذوني منه!!

صح به (سيد):

- اصمت يا رجل، وإلا قطعت لسانك.. هل تفهم؟..

ولم يصمت (نعمان)..

فلم يعد لديه ما يخسره..

لقد خسر كل شيء..

خسر كل ما بناه في حياته كلها..

وكان يعلم أنَّ من حطمه لن يتوقف أبدًا..

وأنَّ هذا الزمن لم يعد زمنه..

لقد صار زمن ارتفاع سيف العدالة فوق الجريمة..

زمن (العقرب)..

***

(تمَّت بحمد الله)